# سبع سنوات على الثورة... وبعد؟

(م. فيصل العش) 12


مجلة الإصلاح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

126

عدد خاص بالثورة "96 صفحة"

العدد 126 - السنة 6 - جانفي 2018 / ربيع الثاني - جمادى الأولى 1439

يصدرها منتدى الفارابي للدراسات والبدائل وتوزع مجانا عبر البريد الألكتروني

24 نهايات الجولة الأولى

(د. حسين السنوسي)

32 ثورات ومؤامرات... ماذا بقي منها؟

(محمد الصالح الضاوي)

38 في الذكرى السابعة... هل أنجبت «الثورةُ» ثوريين؟

(البحري العرفاوي)

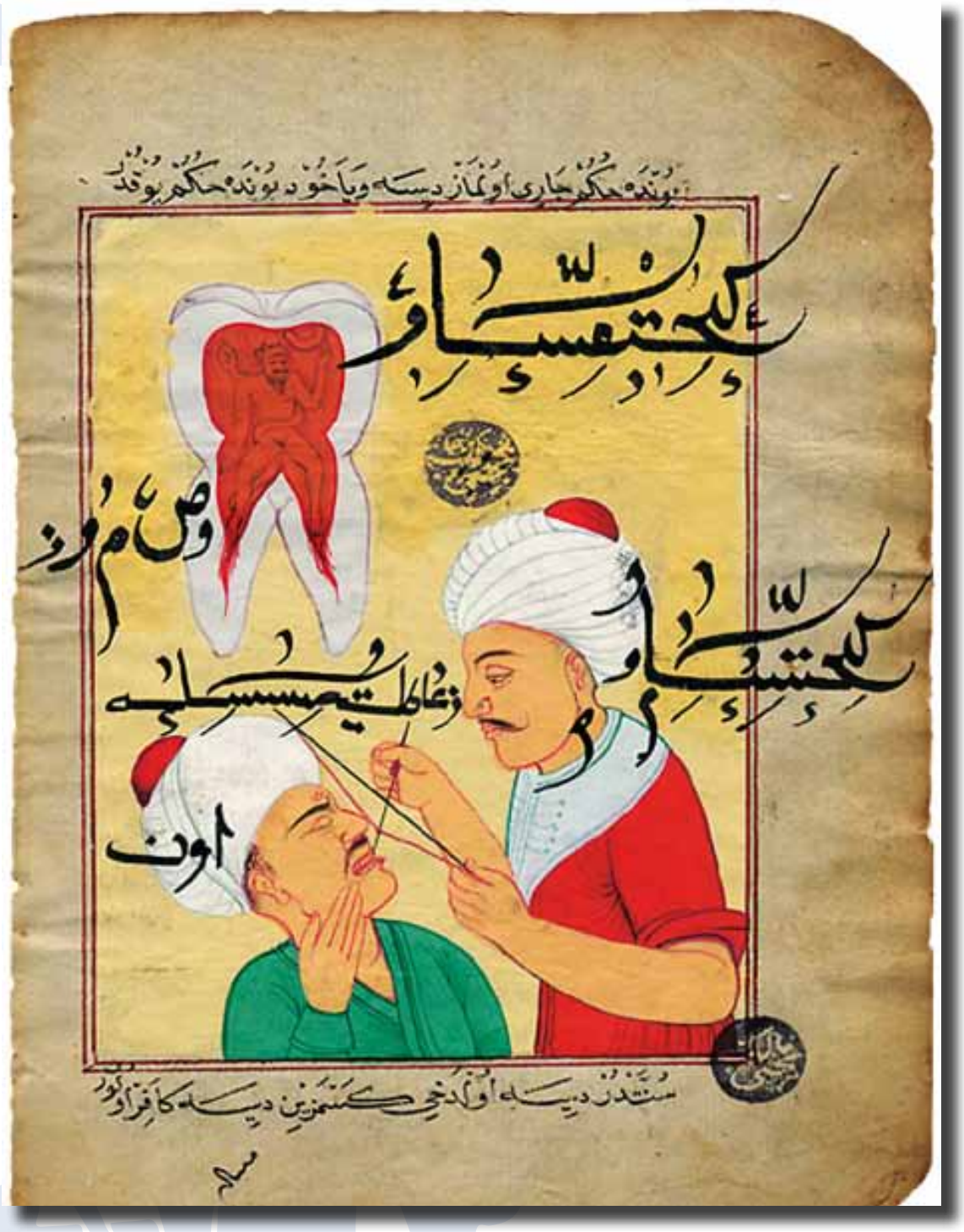

«من مخطوطة عثمانية تتحدث عن طب الأسنان»

مجلّة الإصلاح
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

مجلّة إلكترونيّة
فكريّة ثقافيّة جامعة
***
السنة السادسة

تصدر عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل
ص.ب 353، سيدي عبّاس 3062 صفاقس، الجمهورية التونسية
ر.د.م.د : 2902 – 2382.
هذه النسخة الكترونية - يحجّر نسخها ورقيّا

جانفي 2018
ربيع2 -جمادى1 1439
126
http://www.alislahmag.com

هدف مجلّة الإصلاح بلورة فكر وسطيّ يتفاعل مع محيطه ويقترح حلولا لمختلف مشاكله الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيّة. وتسعى أن تكون حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التّعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحريّة والمساواة. هي منبر للتّحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجيّ ولا تعصّب لفئة دون أخرى. يحلم القائمون عليها مواصلة ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم، منطلقون من الواقع الذي يعيشون فيه، متمسّكون بهويّتهم العربيّة الاسلاميّة ومنفتحون على العصر وعلى كلّ فكرة أو مشروع يؤدّي إلى الإصلاح.

## للمشاركة في تأثيث المجلّة

* النشر بالمجلّة تطوعي وبدون مقابل و يتحمّل فيه الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباته.
* للمجلّة كامل الصلاحيّة في نشر أو رفض المشاركات.
* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التّمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدّين أو تتضمّن شتما أو معلومات من دون ذكر المصدر.

## للاتصال بالمجلّة

* توزع المجلّة مجانا عبر البريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي
* رئيس التحرير : فيصل العش، faycalelleuch@gmail.com
* مراجعة لغويّة : علي عبيد – فيصل الرباعي.
* ر.د.م.د : 2902 – 2382.
* البريد الالكتروني للمجلّة : alislah.mag@gmail.com
* موقع الواب : www.alislahmag.com
* صفحة الفايس بوك : alislah.mag

# افتتاحية

ما حدث قبل سبع سنوات كان حدثا جللا لا ريب فيه شدّ إليه أنظار العالم كلّه وأخرجنا نحن العرب من واقع الاستبداد والظلم والقهر. لقد غيّرت الأحداث التي اندلعت في تونس ثم انتشرت كانتشار النار في الهشيم في بقية الدول العربية موازين القوى وأسقطت عددا من رؤوس الاستبداد والفساد ومارست الشعوب لأول مرّة حقّها الانتخابي بكل حرّية وأتت بمن كان في السجون إلى سدّة الحكم. أليس ما حدث ثورة؟

إنّها ثورة... وإنّها للطاغية وزبانيته نار وجمرة... هي بعث جديد لشعوب عاشت لعقود طويلة ظلما وقهرة... إنها ثورة ... ونحن من جندها، نحتفل بذكراها السابعة برغم آلامها وارتداداتها احتفالا يليق بمقامها وأهمّيتها. ولهذا خصّصنا هذا العدد من المجلّة للحديث عنها وفتحنا الباب لكل من أراد التعبير عن إحساسه تجاهها أو إبداء رأيه فيها أو تقديم نقده لنتائجها أو سرده لإيجابياتها وسلبياتها أو تحليل ما حدث خلالها وخلال السنوات السبع التي مرّت عن اندلاع شرارتها. فشكرا لمن ساهم في تأثيث هذا العدد الذي نهديه لكل من آمن بالثورة وشارك فيها بالساعد والقلم والكلمة الطيّبة ولكل من له ثقة في هذه الشعوب العربيّة التي أكّدت أنها تنتمي لجسد واحد إذا ثار عضو منه تداعت إليه سائر أعضاء الجسد بالانتفاضة والتمرّد.

المثاليون فقط يعتقدون بأنّ الأمم بإمكانها أن تتحرر من دون تضحيات ودماء، فلا ولادة دون ألم، وما حدث ويحدث في العالم العربي من سقوط ضحايا وتدمير مدن هو ضريبة الولادة الجديدة للأمّة، فقد فُتحت جرّاء ما حدث نافذة للشعوب لتؤدّي دورها التاريخي في إنهاء مرحلة الاستبداد في المنطقة والتحرّر من الهيمنة الغربيّة الاقتصادية والثقافية وهو إعلان لنهاية مرحلة الاستلاب الحضاري وبداية مرحلة بناء الأمّة من جديد على أسس صحيحة تستعيد معها هويّتها ودورها لقيادة الإنسانية في مهامها الاستخلافية على وجه الأرض.

اجتهد أعداء الثورة على وأدها وتعطيلها وإفشالها وتحريف مسارها بكل السبل الممكنة وجعلها مرادفة للفوضى حتّى تنفضّ الجماهير من حولها وتقلع نهائيّا عن فكرة الحريّة، وكان هذا منتظرا. واتخذ هذا العداء بعدا إقليميّا ودوليّا ممّا يؤكّد أنّ ما حدث ليس انتفاضات معزولة في رقعة جغرافيّة معيّنة بل هو بدايات مسار انبعاث حضاري جديد قد يعيد توزيع الأوراق ويقلب موازين قوى الهيمنة في حالة استكماله. إلاّ أن استكمال هذا الأمر والخروج من شراك الأعداء ومخططاتهم يتطلب كثيرا من العمل وقليلا من الكلام، ويتطلب توحيد جهود النخب وتوافقها توافقا «غير مغشوش» بدلا من الصراع والتناحر الذي يهدم ولا يبني كما يتطلب وضع استراتيجيات تأخذ بعين الاعتبار قدرات هذه الأمّة وامكانياتها وخصائص المرحلة ومتطلباتها.

فهل سيكون القادم بالرّغم ممّا حدث خلال هذه السنين السبعة من تعثّرات وأزمات لفائدة الأمّة؟ وهل ينقلب الكابوس حلما جميلا ؟ وهل تأتي بعد العجاف السبع سبع سمان؟ افتنا يا يوسف... افتنا أيها الصدّيق....

# تهاني

## السنة الإدارية 2018

http://www.alislahmag.com

بمناسبة حلول السنة الإدارية الجديدة

# 2018

مجلّة الإصلاح ترجو لكم

عاما سعيدا وكل عام وأنتم بخير

رئيس التحرير

المهندس فيصل العش

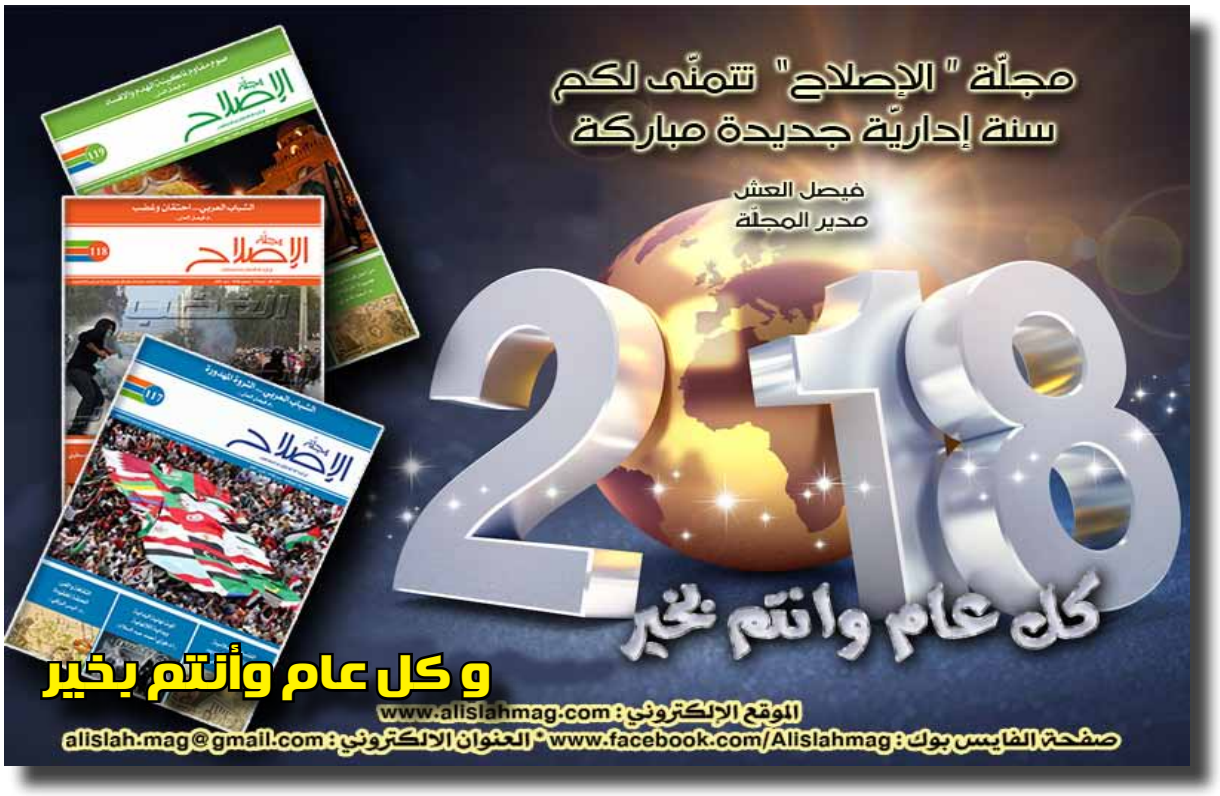

# في هذا العدد


## 18 - وبعد؟

في قوَّة الإمكان الثَّوريِّ

د.سالم العيادي

## 20 - في العمق

الربيع العربي أجنة ثورات مهددة

أ.د. فوزي أحمد عبد السلام

## 30 - همسات

إذا الشعب يوما أراد الحياة

د. سعيد السلماني

## 44 - من وحي الحدث

الثورات العربية.. المخاض العسير
والولادة المستعصية

عبدالعزيز الرباعي

# في هذا العدد

48 - الكلمة الحرة

ويل للنخب من شر قد اقترب

بسام العقربي

52 - تحت المجهر

الربيع العربي في ذكراه المتجددة

د.رياض الشعيبي

55 - ترنيمات

... وتستعاد البوصلة

سالم المساهلي

56 - بالمناسبة

الصراع الايديولوجي استمرار للفوضى الخلاقة بوسائل اخرى

النوري الجبالي

# في هذا العدد


60 - إثراء للنقاش

في معنى الثورة

سامي الشعري

64 - تمتمات

أضواء الخطر

م. رفيق الشاهد

68 - خواطر

أتت و كأنها لم تأت

د.أنيس الرزقي

76 - من القلب

حصاد ضحايا الإستبداد بعد سبع سنوات من ثورة الحرية و الكرامة

محمد هميلي

78 - نقاط على الحروف

حول تقييم منظومة الصفقات العموميّة بعد الثورة بتونس

أيمن الديماسي

84 - وجهة نظر

ماذا خسرت تونس بإعدام الحركة الإسلامية ؟

الهادي بريك

88 - حديقة الشعراء

حطَبُ الثّورَهْ

عبد اللطيف علوي

90 - قبل الوداع

حررتهم الثورة

لطفي الدهواثي

## من إبداعات
## الخطاط التونسي
## عامر بنجدو

من مواليد سيدي بوزيد بالجمهورية التونسية سنة 1954، من أبرز الخطاطين في الساحة التونسية ... خطاط وفنان تشكيلي ، شارك في مسابقة أرسيكا سنة 2004 ثم سنة 2007 حيث تحصل على الجائزة الثانية في الخط الكوفي القيرواني.

«آل محمّد كلّ تقيّ... هنيئا لكم أهل بيت النبي...
وطبتم فروعا وطبتم أصول...

«إنّ الأزمة تلد الهمّة، ولا يتّسع الأمر إلاّ إذا ضاق،ولا يظهر فضل الفجر إلاّ بعد الظلام الحالك،أوشك فجر الشرق أن ينبثق،فقد ادلهمّت فيه الخطوب وليس بعد هذا الضيق إلاّ الفرج... سنّة اللّه في خلقه»

جمال الدين الأفغاني

م. فيصل العش
«رئيس تحرير المجلة»
faycalelleuch@gmail.com

# سبع سنوات على الثورة... وبعد؟

## توطئة

يعيش العالم العربي حالة من الإحباط الشّديد والحيرة والضّياع نتيجة ما يحدث في أغلب أرجائه من صراعات وتناحر ودمار بعد أن عاش منذ سبع سنوات فترة من الأمل والإنتشاء نتيجة حدوث تغييرات سياسيّة هامّة إثر انتفاضات شعبية سلمية اندلعت شرارتها الأولى من تونس لتعمّ مصر وليبيا واليمن وسوريا وحطّمت حاجز الخوف لدى شعوب المنطقة وأسقطت رؤوسا لم يكن في تقدير أفضل المحللين السّياسيين توقّع الإطاحة بها بتلك السّرعة.

لن نحشر أنفسنا في الجدل الدّائر حول الثّورة وماهيتها وهل ما حدث في تونس بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011 ومن بعده في العديد من الدول العربية هو ثورة أم انتفاضة أم مؤامرة، فقد أُسيل من أجل هذا الأمر حبر كثير. فلا داعي لخوض جدال قد يطول ويأخذ منّا جهدا نحن في حاجة ماسّة إليه حتّى نغوص في أمور أكثر أهمّية.

لن نخوض أيضا في التّسميات التي أطلقت على ما حدث، فقد حسم الأمر لدينا على الأقل، فنحن نؤمن يقينا أنّ ما حصل ثورة ولكنّها مازالت في أشواطها الأولى وكلّ التسميات التي أطلقت عليها هي تسميات نعتزّ بها. هي ثورة الربيع العربي وإن كان ما نراه اليوم

يوحي بأننا نعيش شتاء قاسيا وهل بعد الشتاء إلاّ الربيع؟ وهي ثورة الياسمين وإن سالت فيها دماء كثيرة، أوليست تونس بلاد الياسمين وهي التي اندلعت منها أولى شرارات الثورات العربيّة؟ وهي ثورة «البرويطة» كما سمّاها البعض (وإن كان يريد التهكم على هذا الإنجاز وتحقيره) أوليست «البرويطة» رمز العمل والكدّ ورمز المستضعفين قادة هذه الثّورة؟. وهي ثورة الحرّية والكرامة ولا أحد ينكر أنّ الحرّية والكرامة هي مطلب كلّ العرب والمسلمين.

> **"ما شاهدناه في دول الربيع العربي لم يرتق إلى وعي ثوري بل كان حسّا ثوريّا قادته عاطفة الناس الذين انتفضوا منجزين ثورة تفتقد إلى تنظيم محكم ووضوح للأهداف"**

صحيح أنّ أغلب الشّعارات التي رفعها الثّائرون لم تتحقّق بل ربّما ازداد الوضع سوءًا من هذه النّاحية ممّا شجّع أعداء الثّورة وأصحاب القلوب المريضة على ترويج أقاويل تهدف إلى التّنقيص من أهمية الانجاز العظيم الذي حصل في البلاد العربية ومن ثمّ بثّ الإحباط وغرس النّدم في نفوس الجماهير الثّائرة والتّباكي على أيام ما قبل الثّورة. وصحيح أنّ ما يحدث في سوريا ومصر وبقيّة الدّول العربيّة من قتل ودمار أمر مفزع لا تتحمّله النّفس البشرية. إلاّ أنّ ما تحقّق برغم التّضييق والمحاصرة ومحاولات أهل الردّة يجعلنا نتفاءل بالمستقبل إذا ما نظرنا إلى ما حدث في أفقه العربي والعالمي بعيدا عن القطريّة والمكاسب الآنيّة الضيّقة.

ما نهدف إليه من خلال هذا المقال هو الوقوف عند أسباب الانتكاسات الحاصلة وإن تنوعت من دولة إلى أخرى لعلّنا بذلك نعرف مكامن الخلل فنعمل جميعا على القضاء عليها وإعادة قطار الثورة إلى سكّته ليسير في اتجاهه الصحيح نحو تحقيق مجد هذه الأمّة وعزّتها. فما هي العوائق التي وقفت حاجزا أمام تحقيق أهداف الثورة؟ وما هي طبيعتها؟ هل هي داخليّة مرتبطة بالانسان العربي نفسه أم هي خارجيّة مرتبطة بموازين القوى الإقليميّة والدولية؟ أم هي من هذا وذاك؟

## حسّ ثوري لا وعي ثوري

من العوائق الرئيسيّة التي عطّلت وصول الثورات العربية إلى منتهاها وتحقيق مبتغاها غياب الوعي الثوري بما هو إدراك للمعنى الحقيقي للثورة وتبنّي أفكار ووجهات نظر ومفاهيم عن الحياة نقيضة لما كانت عليه قبل الثورة مع امتلاك القدرة على الحفاظ على ما تنتجه هذه القناعات والرؤى والتصوّرات من سلوك وقيم وعلاقات بالإضافة إلى إدراك المخاطر التي تهدّد الإنجاز الثوري لمنع أي قابلية للارتداد.

لا يتأتّى الوعي الثوري من فراغ بل هو نتاج تراكمات لنضالات فكريّة وميدانيّة ضدّ العدوّ ويقاس بقدرة الشعوب على حماية حراكها وتطويره إلى عمل يومي مستمر لتحقيق التغيير وابتكار الوسائل والطرق لتحقيق تحوّل جذري للواقع بالإضافة إلى تحمّل الصعوبات المصاحبة للحالة الثوريّة من أزمات اقتصاديّة واجتماعية واضطرابات في نسق عيش النّاس نتيجة تصادم تصوّرين للمجتمع، يقوم الأول على الاستبداد والقهر والظلم والتفرقة والخنوع والخوف ويقوم الثاني على الحرية والكرامة والعدالة الاجتماعيّة.

**"سيبقى إبعاد الشباب عن المشاركة في القضايا المصيريّة وعدم الاستجابة لمطالبه عائقا مهمّا أمام نجاح الثورة وتحقيق أهدافها."**

وما شاهدناه في دول الربيع العربي لم يرتق إلى وعي ثوري بل كان حسّا ثوريّا قادته عاطفة الناس الذين أحسّوا بالحقرة والتهميش وخافوا على لقمة عيشهم فانتفضوا منجزين ثورة تفتقد إلى تنظيم محكم ووضوح للأهداف، وخارطة طريق متماسكة تمكنهم من الوصول الى تلك الاهداف. لم يكن هذا الحسّ الثوري كافيا لاستمرار توهّج الثورة وبلوغها مرحلة النضج والبناء، فسرعان ما دبّ الخوف من التغيير والثورة في نفوس جزء كبير من النّاس وتحرّك فيهم الحنين إلى «الاستقرار المغشوش» الذي كان يوحي به الاستبداد، نتيجة الجهل والتغييب والتّضليل والتخدير الذي مارسته الأنظمة المستبدّة عليهم طيلة عقود.

## شباب مُغيَب

قبل سبع سنوات من الآن كان الشارع العربي في أقصى حالات غليانه وكان الشّباب يواجه بصدر عارٍ نيران قوى القمع والاستبداد في الميادين العامّة وفي القرى والأرياف، هاتفا بإسقاط النظام ومطالبا بالحق في العيش الكريم والحرية والتشغيل. وقد أظهرت تلك الأحداث جدارة الشباب وقدراته العالية في التعامل مع الواقع والاستجابة لحاجياته وفرض مسار جديد يقطع مع الماضي بجميع جوانبه مستعينا بالتكنلوجيات الحديثة (شبكات التواصل الإجتماعي والهواتف النقالة ) والتحرك الميداني. وبالرغم من القتل المتعمّد للعديد من الشباب، فقد استطاع هؤلاء في «السنة الدولية للشباب» أن يسقطوا عددا من رؤوس الأنظمة الاستبدادية الفاسدة. والآن بعد سبع سنوات من تلك الملحمة الشبابية نلاحظ أنّ وضع الشباب ازداد سوءا فأغلبه لم يعد يثق في الطبقة السياسية الحاكمة والمعارضة على حدّ سواء فخيّر الانسحاب نهائيّا من السّاحة تعبيرا عن رفضه لما آلت إليه الأمور في حين خيّر البعض الآخر الالتحاق بصفوف التنظيمات الراديكاليّة المتطرفة التي لديها من الأساليب الخبيثة الكثير لجلب وتأطير الشّباب والاستفادة من حماسه ورباطة جأشه واختار شقّ آخر الارتماء في أحضان المتوسّط ليموت غرقا أو يتحوّل إلى سجين بأحد المعتقلات في أوروبا.

لم يكن تعامل حكومات ما بعد الثورة مع ملف الشّباب سليما ولم تقدّم لمشاغله حلولا جدّية. في حين فشلت الأحزاب السياسيّة قديمها وجديدها والتي يفوق معدل أعمار قادتها الخمسين سنة، في استيعاب متطلبات هذا الشباب واستقطابه ليكون أحد أعمدة البناء الجديد ولم توله المكانة التي يستحقّها التي تتماشى مع دوره المحوري والأساسي في نجاح الثورة، فالقائمون على هذه الأحزاب لم يقدروا على تجاوز عقلياتهم القديمة التي تتعامل مع الشباب كمعطى كمّي يُستنجد به في حملاتهم الانتخابية ومواعيدهم الحزبية أوتجييش الشوارع للضغط على الخصوم.

إن الشباب هو عماد الوطن وهو القوّة الضّاربة التي باستطاعتها بناء الدّولة وصناعة المستقبل ولهذا فإنّ إبعاده عن المشاركة في القضايا المصيريّة وعدم الاستجابة لمطالبه كانت له تأثيرات وخيمة على الاستقرار

ونجاح الانتقال من الاستبداد إلى الديمقراطيّة وسيبقى عائقا مهمّا أمام نجاح الثورة وتحقيق أهدافها.

## طبقة سياسية فاشلة

إن نجاح الثّورة لا يتمّ إلا عبر النّجاح في تغيير مضمون العمل السّياسي، فالعمل السّياسي في مرحلة ما بعد الثّورة مختلف كلّيا عن مثله أثناء الثّورة وما قبلها. لكنّ النّخب التي احتلت السّاحة السّياسية بعد الإطاحة بالطّغاة لم تسع إلى تغيير مفهوم العمل السّياسي وانخرطت في معارك طاحنة فيما بينها للوصول إلى السّلطة فانقسم مناضلو الأمس إلى حكّام ومعارضة وخاضوا صراعات مستمرّة فيما بيمهم بسبب ذاتيّة البعض وانتهازيّته وضيق أفق البعض الآخر وضعف بصيرته، فانحرفوا بالمسار وكادوا يعصفون به.

> **إن نجاح الثّورة لا يتمّ إلا عبر النّجاح في تغيير مضمون العمل السّياسي، فالعمل السّياسي في مرحلة ما بعد الثّورة مختلف كلّيا عن مثله أثناء الثّورة وما قبلها**

يتميز أغلب متصدّري السّاحة السّياسية بجهل مع كثير من العقد النّفسية والفكريّة نتيجة لما تعرّض إليه جزء منهم من قمع وتنكيل جرّاء دكتاتوريّة العهدين السّابقين وتمسّك بعضها الآخر بإيديولوجيّات تجاوزها الزّمان ولفضها أصحابها. وقد أدّى تصدّر هؤلاء للمشهد السّياسي إلى الانحراف عن مسار تحقيق أهداف الثّورة ودفع البلاد إلى احتقان اجتماعي خطير، فجزء كبير منهم لم يفهم أنّ البلاد خرجت من الاستبداد لكنّها لم تدخل عالم الدّيمقراطية بعد وأنّه لابدّ من المرور بمرحلة انتقاليّة قد تقصر أو تطول حسب جهد وذكاء الفاعلين ولا يمكن لهذه المرحلة أن تمرّ بسلام مادام الصّراع الإيديولوجي والطّائفي والحزبي يتصدّر الحراك بدل التّنافس. ولعلّ المتتبع للسّاحة التّونسية مثلا يلاحظ بوضوح أنّ وتيرة الأزمات أصبحت في ارتفاع ومبدأ «التّوافق» قد يلفظ أنفاسه بين لحظة وأخرى. وقد تسبّب هذا التّمشّي خلال السّنوات السبع الماضية في خلق قناعة لدى غالبيّة المواطنين بفساد السّياسة والسّياسيين بمختلف أنواعهم ومشاربهم ممّا جعلهم ينفرون من الاهتمام بالشّأن السّياسي، بل عاد حنين بعضهم إلى نظام الاستبداد الذي ثاروا من أجل تغييره والقضاء عليه. وهذا من شأنه أن يضرّ بالديمقراطية النّاشئة ويعطّل المسار الثّوري والقضاء عليه.

## تغييب المسار الثقافي

تسير الثّورات العربيّة بخطى بطيئة متعثّرة، لأنّها عرجاء ويعود عرجها إلى الاهتمام الكبير بالمسار السّياسي وتغييب المسار الثّقافي. فسيطرة رجال السّياسة على المشهد العام وتحكّمهم في مواقع القرار واهتمامهم بتصفية حساباتهم القديمة جعل من التّغيير الثّقافي مسألة ثانويّة.والكلّ يعلم أنّ نجاح أيّ مشروع للتّغيير مرتبط بتلازم المسارات الثّلاثة السّياسي والثّقافي والاقتصادي.

لقد عاشت الشّعوب العربيّة الاسلاميّة قرونا طوالا تحت وطأة الاستبداد والحكم الفردي تارة بغطاء ديني وطورا بغطاء وطني تحرّري، ولم تعرف هذه الشّعوب في تاريخها منذ قيام الدولة الأمويّة تداولا على السّلطة

> "سيبقى تحوّل الشّعوب العربية من واقع الاستبداد والتّهميش إلى واقع السّيادة والمواطنة أعرجا مالم تصاحبه ثورة ثقافيّة شاملة تنسف ثقافة الاستبداد والأنانية."

السّياسيّة إلاّ بالوراثة أو بحدّ السّيف ولم تتعوّد على الاختيار الحرّ بل تمّت تربيتها على السّمع والطّاعة والإذعان لولي الأمر أومن ينوبه، لهذا لا يمكن بمجرّد تغيير الدّستور أو إصدار القوانين أو تنظيم انتخابات أن نغيّر الواقع وسيبقى تحوّل الشّعوب العربية من واقع الاستبداد والتّهميش إلى واقع السّيادة والمواطنة أعرجَ ما لم تصاحبه ثورة ثقافيّة شاملة تنسف ثقافة الاستبداد والأنانية والفوضى وتكرّس بديلا وطنيّا قائما على حبّ العمل والاستثمار في الوطن ومن أجل الوطن والاحترام المتبادل بين الدّولة والمواطن وبين المواطنين أنفسهم وهو عمل صعب وشاق لا نرى مكونات المجتمع المدني من جمعيّات ومفكّرين ومثقّفين قد انطلقوا في انجازه بعد.

## مكر الثورة المضادّة

من العوائق الرئيسيّة أمام نجاح الثّورات العربيّة بصفة عامّة إعادة التشكّل السّريع للمنظومة القديمة المعادية للثّورة فكرا وممارسة، ذلك أنّ النّخب السّياسيّة التي تسلّمت السّلطة بعد سقوط الطّغاة لم تسع إلى محاسبتها وتعطيل الآليات القادرة على إعادة تشكّلها ولم تقم مبكّرا بالقضاء على الشّبكات والدّوائر التي دافعت إلى آخر لحظة عن دولة الفساد واكتفت بقرارات محتشمة لم تغيّر في واقع الأمر شيئا بتعلّة التدرّج في المحاسبة، بل ذهب البعض منها إلى مغازلة «ركائز الأنظمة القديمة» من سياسيين وإعلاميين ورؤوس أموال لاستمالتها إلى صفّها، فحافظت المنظومة القديمة على أغلب مواقعها في مفاصل الدّولة وخاصّة في القطاعات الرئيسيّة كالإعلام والقضاء والأمن والجيش، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لقوى الثّورة المضادّة لتعيد ترتيب بيتها بطريقة ماكرة حيث استفادت من أخطاء الحكّام الجدد وجمعت حولها كلّ المتضرّرين والخائفين من الثّورة وحرّكت أهمّ آلياتها (الجيش في مصر والطّائفيّة في اليمن وسورية والقبليّة في ليبيا ونقابات العمال في تونس) مستعينة بماكينة إعلاميّة ضخمة حتّى خيّل للدّاخل والخارج أنّها أصبحت مطلبا شعبيّا وأنّها المنقذ الوحيد من الوضع الذي آلت إليه بلدانها، فكان الانقلاب العسكري في مصر إنقاذا وطنيّا واعتبر سقوط حكومة التّرويكا في تونس ملحمة نضاليّة وطنيّة وغدا «حفتر» قائدا وطنيّا للجيش الليبي وصارت براميل النّظام السّوري المتفجرة فوق رؤوس السّوريين سلاحَ مقاومةٍ وتحوّلت ثورة اليمن إلى صراع طائفي بين الحوثيين وبقية اليمنيين.

## مصيبة التّدخّل الخارجي

عملت القوى الإقليميّة والدّول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكيّة وروسيا والكيان الصهيوني على وأد الثّورات العربيّة بجميع الطّرق أو على الأقل تغيير مسارها وتوجيهه إلى ما يخدم مصالحها وذلك عبر تدخّلها المباشر والخفيّ الذي أخذ أشكالا متنوّعة حسب خصوصيّات القطر وطبيعة الصّراع فيه، فكان

تارة عسكريّا مباشرا بتعلّة مقاومة الإرهاب (الحالة العراقية والسّورية) أو المحافظة على حياة النّاس (الحالة اللّيبية) وتارة أخرى عبر غضّ الطّرف عن ممارسات قوى الثورة المضادّة والاعتراف بانجازاتها (الحالة المصريّة) وطورا بتعطيل الاستثمار وقطع الدّعم المالي عبر فرض شروط قاسية وضغوطات من خلال المؤسّسات المالية الدّولية لخلق وضع اقتصادي صعب يستحال معه الاستمرار في التّغيير ويمنع كلّ محاولة لاستقلال القرار الوطني (الحالة التّونسية).

ولا يستبعد أن تكون للدّول الكبرى والكيان الصهيوني ومن يتبعهما من قوى إقليميّة اليد الطولى في انتاج الإرهاب وتحريكه في المنطقة سواء بشكل مباشر أو عن طريق وكلاء مستعدّين لفعل كلّ شيء من أجل القضاء على الحراك الثّوري بالمنطقة.

**"الثّورة ليست حراكا شعبيّا ينتهي بمجرد إزالة رأس السّلطة بل هي صراع متواصل وحركة مستمرّة في التّاريخ تتخلّلها أزمات وعوائق قد تعيقها أو تغيّر مسارها لكنّها لا تعطلها"**

## خاتمة

بالرغم من العوائق الكثيرة التي منها ما ذكرنا ومنها ما لم يسعفنا المجال لذكرها، فإنّ الأمور في المنطقة لن تعود إلى ما كانت عليه قبل الثّورة مهما تآمر أعداء الدّاخل والخارج وحاولوا فرضه بقوّة السّلاح والمال والمغالطات الإعلاميّة. ويكفي ما حقّقته انتفاضات الرّبيع العربي من مكتسبات للوعي الجمعي العربي لعلّ أهمّها تحطيم جدار الخوف والتّردد واللّامبالاة، ورفض التّسلط والتّهميش والتّشبث بالقيم الانسانيّة الخالدة كالحرّية والعدالة. بالإضافة إلى تعريتها لجميع النّخب السّياسيّة وابراز مدى انتهازيّة البعض وضحالة امكانيّات البعض الآخر.

إنّ ما حدث في عالمنا العربي ليس ثورة فحسب بل هو بداية «انبعاث حضاري جديد للأمّة» وأنّ القادم بالرّغم ممّا حدث خلال هذه السنين السبع والذي يبدو تعثّرا سيكون لفائدة الأمّة التي استأنفت دورها وانطلقت في مخاض - وإن كان عسيرا- سيؤدّي لا محالة إلى تموقعها من جديد ضمن الأمم الفاعلة وليس المفعول بها.

إنّ الثّورة ليست عملا محدودا في الزّمان والمكان وإنّما هي عمل معقّد من حيث تداخل عناصره وارتباطه بالواقع الجيو- سياسي والاجتماعي وهو أيضا شاقّ ومضنٍ يتطلّب الكثير من التّضحيات والصبر والعمل واليقظة، فلا يمكن حرق مراحل الثّورة أو استعجال قطاف ثمارها وليس من السّهل تحطيم الأغلال التي تكبّل عقول السّواد الأعظم من الشّعوب العربيّة نتيجة ثقافة الاستبداد التي عاشت فيها هذه الشعوب طويلا ومن الصّعب أن يتحقّق تحوّل جذري في العلاقة بين السّلطة والمواطن وتزول الحواجز والمطبّات عن طريق الانعتاق والحريّة بمجرّد تغيير النظام، فالثّورة ليست حراكا شعبيّا ينتهي بمجرد إزالة رأس السّلطة بل هي صراع متواصل وحركة مستمرّة في التّاريخ تتخلّلها أزمات وعوائق قد تعيقها أو تغيّر مسارها لكنّها لا تعطلها وتلك سنّة من سنن الله في الكون.

د.سالم العيادي
«أستاذ الفلسفة بجامعة صفاقس
رئيس منتدى الفارابي للدراسات والبدائل»
salemayadimdm3@yahoo.com

# في قوة الإمكان الثوري

من شأن الثَّورة عمومًا أن تكون خلخلةً للسَّائد إقبالاً على حلمٍ منشودٍ ومساءلةً جذريَّةً لليقينيَّات استئنافًا لجذوةِ الرُّوح الإبداعيَّة. ولا يكون الإبداعُ خلقًا جديدًا لشروط الحياة والفعل والتَّبادل ما لم يكن لأجل الحريَّة والكرامة والعدالة. وتلك هي قيمُ الثَّورة التُّونسيَّة وكلِّ الحراك الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ بالوطن العربيِّ عمومًا.

والثَّورة السِّياسيَّة هي في جوهرها تغييرٌ عميقٌ للمجتمع والدَّولة نحو تشكيلٍ جديدٍ للمشروعيَّات معنويًّا، وتوزيعٍ مختلفٍ للثروات ماديًّا. ولا يمكن للثَّورة أن تنجز مهامَّها ما لم تسندها الثَّقافةُ ويعضدها الفكرُ ويكون ذلك بـ:

- ثقافيًّا: تغييرُ المناخِ القيميِّ والفضاءِ الرَّمزيِّ نحو بناءِ مشروعٍ مواطنيٍّ مقاومٍ.
- فكريًّا: تخفيفُ حربِ السِّياسةِ بنوعٍ من السِّلم في عالم الأفكار.

وهذا ما لم يتحقَّق إلى اليوم: فالمناخُ القيميُّ العامُّ مناخُ ما قبل 17 ديسمبر 2010. ويتجلَّى ذلك بوضوحٍ في خطاب الثَّقافة والإعلام، وفي الممارسات على اختلاف ميادينها. كما أنَّ بوليموس (الحرب: Polimos) السِّياسةِ قد خرَّب هرمونيا (Harmonia) الأفكار.

فأنت تجد عالم الأفكار لدينا شبيها بعالم الآلهة في الميثولوجيا الإغريقيَّة. وعندما تتحارب الآلهة (الأفكار) لا تكون الضَّحيَّة المسحوقة إلاَّ الإنسان. وبناءً عليه يمكن القول إنَّ ما تتطلَّبه اللَّحظة بضربٍ من القطيعة الواضحة والصّريحة هو:

- ضرورة التَّعامل مع الثَّقافي بوصفه الميدان الفعليّ لخلق قيمٍ ورموز جديدة، ورسم مشروعٍ وطنيٍّ مقاومٍ تتحدَّد بمقتضاه مسؤوليَّات المثقَّفين الرُّوحيَّة والتَّاريخيَّة.

- ضرورة الكفِّ عن تحويل عالم الأفكار إلى عالمِ الآلهةِ المتناكفةِ المتصارعةِ. وذلك لأجل بناءٍ هرمونيٍّ يوفِّر للمفكِّرين إمكانيَّةَ فعلِ شيءٍ آخر غير البوليموس (السِّجال-الحرب): فللفكر ديالكتيكه الخاصّ المختلف جذريًّا عن "البوليموس".

> **"ما الّذي يجعل الثَّقافة العربيَّة والفكر العربيّ عاجزيْن عن الذِّهاب بعيدًا ودون تحفُّظات في اتجاه قيم الثورة الأنواريَّة؟"**

والشَّيءُ الّذي هو مسؤوليَّةُ المفكِّر من جهةِ ما يكون مفكِّرًا ملتزمًا إنَّما هو صياغة المشترك: فالفكر هو أرحبُ آفاقِنا كونيَّةً. وستبدع الثَّورةُ التُّونسيَّة تدريجيًّا ثقافةَ الثَّورةِ وفكر الثَّورةِ. فالثَّورةُ إمكانٌ واقتدارٌ، وزمنُ الثَّورة تقدُّه أحداثُه يومًا بعد يومٍ.

وأحداثُ الثَّورة ليست متعلِّقةً بأغراضِنا اليوميَّة في طابعها الآنيّ المستعجلِ، ولا هي متعلِّقة أيضًا بترتيبات الوضع في اعتباطيَّة مجرياته وعرضيَّتها، وإنَّما أحداثُ الثَّورةِ ما يقع في الرُّوح الفرديّ والجَمْعيّ من اعتمالٍ ثقافيٍّ وفكريٍّ: تلك هي في تقديرنا قوَّة الإمكان الثَّوريّ الّذي يأخذ اليوم في التَّعبير عن نفسِه ولو بشيءٍ من التَّعثُّر.

ومردُّ هذا التَّعثُّر إلى قوَّة الرِّهان. فانقلابُ الفكرِ والثَّقافةِ من مجرَّد خطابٍ رسميٍّ قطاعيٍّ إلى فعلٍ مقاومٍ شاملٍ لأجل الحريَّة والكرامة والعدالةِ لا يمسُّ «عالمَ الأذهانِ» فحسب، وإنَّما يمسُّ أيضًا «عالم الأعيان» في اتِّجاه إعادة التَّشكيل الجذريَّة لوضعنا الجيو- سياسيّ. هذا ما أدركه أعداءُ الحرِّيَّة وخصومُها من أنظمةٍ ديكتاتوريَّةٍ وليبراليَّةٍ متوحِّشةٍ معولمةٍ.

ولمَّا كان الرِّهان بهذا القدر من الأهميَّةِ والخطورةِ فإنَّه يقتضي الآن سِلمًا في عالم الأفكار: أن تتولَّى الإيديولوجيَّات على اختلافها وتباينها البحثَ عن الحريَّةِ والكرامةِ والعدالةِ بوصفها مشتركاتٍ جامعةٍ: حريَّةُ الإنسانِ من حيث هو إنسانٌ بما يضمن التَّخلُّص من كلِّ وصايةٍ، والكرامةُ الوطنيَّةُ بما هي عنوان استقلال الإرادة والسِّيادة، العدالة الاجتماعيَّة ضدَّ كلِّ أشكال التَّفاوت والظُّلم. وتتمثَّل المهمَّةُ الثَّوريَّة في التَّأسيس لهذه القيم الكونيَّة من داخل الثَّقافة والفكر العربيّ. فهل يمكن للمفكِّر العربيّ اليوم أن يطرح هذا السُّؤال: ما الّذي يجعل الثَّقافة العربيَّة والفكر العربيَّ عاجزيْن عن الذَّهاب بعيدًا ودون تحفُّظات في اتِّجاه هذه القيم الأنواريَّة الثَّوريَّة؟

# الربيع العربي أجنة ثورات مهددة

أ.د.فوزي أحمد عبد السلام
«أستاذ ديناميكا الغضا، بجامعة القاهرة»
f.a.abdelsalam@gmail.com

## تأمل فيما مضي

في ذكري بدايات إندلاع الثّورات العربيّة التي كانت فاتحتها من تونس أما خاتمتها فلم تظهر بوادرها بعد، مازلنا بعيدين جدّا عن التّقييم الإجمالي وإنّما تقييم لمشهد قصير من التّدافع بين القوى «الثّورية» ومنظومات الاستبداد التي جرفت الأوطان من كلّ شيء نافع وجميل. ولد الرّبيع العربي كأجنّة ثورات لم تكتمل، واحتواها مجهّضوها. لكنّه أحيانا يقدر لأنوية الثّورات أن ترى النّور دون ترتيب سابق لها ودون قيادة تحدّد بوصلتها لتصل بعض حجّة الله على خلقه ولتعلم الشّعوب المقهورة أنّ للشّعوب بأسًا من الممكن أن يزلزل عرش الطّواغيت. كسّر الرّبيع العربي جدران الخوف السّميكة التي تحاول مجدّدا أنظمة الاستبداد بناءها أغلظ من ذي قبل. بفضل الرّبيع العربي أصبح لدى الذّاكرة العربيّة نقطة قريبة جدّا يتذكّر بها العرب الحرّية. لم تنتصر الثّورات بعد، لكن منظومات الاستبداد التي تصدّت لها لم تنتصر أيضا، ففي مكان حوّلت المطالب السّلميّة الجزئيّة إلى حرب مسلّحة مفتوحة، دمّرت فيه جغرافيا الوطن وتاريخه وثرواته، وفي مكان آخر دمّرت النّسيج والسّلم الاجتماعي،

ولعلّه يكون كالتّرياق الذي يعطي للجسد ليقاوم ما هو أشدّ منه مستقبلا، وفي مكان ثالث ولدت حالة من السّيولة وفراغ في السّلطة المركزيّة وباتت كلّ السّيناريوهات مفتوحة في مساحة جغرافيّة واسعة تهدّد بوضع جدران كثيفة بين غرب الوطن العربي وشرقه، وفي مكان آخر توافق فريق عريض من الثّوار مع من ثاروا عليهم بحجّة أنّه لا يمكن المرور بالوطن إلى برّ الأمان بدونهم «وتلك فكرة جدليّة تحتاج إلى نقاش عميق». كلّ ذلك يتمّ تنفيذه بأيد قوميّة وتحالفات إقليميّة تدفع فاتورة الصّراع وبتحالف دولي ينفخ في ناره بحيث لا ينتهي.

> **كسّر الرّبيع العربي جدران الخوف السّميكة التي تحاول مجدّدا أنظمة الاستبداد بناءها أغلظ من ذي قبل.**

## استبداد واع واستبداد متخلّف

بعد اندلاع الثّورة في تونس أعلنت السّلطات المصريّة «أنّ مصر ليست كتونس» في حركة استباقيّة لحركة الشّعب المصري في 25 يناير/جانفي 2011 وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علي استبداد متخلف منقطع النظير، على خلاف ما تعامل به استبداد آخر واع وخارج الحدود الجغرافية للمنطقة وهو الصّين «ففي اليوم الثّالث للثّورة المصريّة أقدمت السّلطات الصّينية على تعطيل البحث عن كلمة «مصر» في المدوّنات الصّغيرة من خلال بوّابات البحث الصّغيرة. كما حظرت المشاركات التّفاعليّة في الحدث المصري، وكلّها إجراءات تعكس خشية السّلطات الصّينية من امتداد لهيب الثّورة المصريّة إلى الصّين ... والتزمت الصّين الصّمت بذريعة عدم التّدخل في الشّؤون الدّاخلية، وبعد سقوط مبارك عبّرت الصّين عن احترام خيارات الشّعب المصري، وفي زيارة لوزير الخارجيّة الصّيني ولقائه رئيس المجلس العسكري لوحظ حرص المسؤولين الصّينين علي عدم تقديم التّهاني علي انتصار الثّورة المصرية»[1]. تخاف السّلطة الصّينية من الثّورة المصريّة وتعد أنّ أوجه الشّبه كثيرة بين البلدين مثل الاكتظاظ السّكاني ومعظم السّكان يعيشون حول حدّ الفقر وفي ظلّ سلطة مستبدّة قاهرة، ممّا يمكن أن تستنسخ الثّورة في ظروف مشابهة. لكن مع القواسم المشتركة الكثيرة بين مصر وتونس أكثر بكثير ممّا بين مصر والصّين مثل القوميّة الواحدة واللّغة الواحدة والدّين والعادات والإقليم بل والحركة السّياسية المؤثّرة تكاد أن تكون قد خرجت من رحم واحد ومع ذلك يقول «أنّ مصر ليست تونس» وهذا الاستبداد المتخلّف من المفترض أن يسقط سريعا، فإن دام زمنا أكثر ممّا ينبغي دفعنا ثمنا أكبر في إزالته، ودلّ ذلك على عدم النّضج والوعي السّياسي للنّخب السّياسية الفاعلة.

## الوعي والثورة

حين تسير الدولة ممثلة في «سلطتها» في واد النّعيم المحرّم، وتجبر الجماهير على السّير في واد الجحيم، حين تعني حياة الجماهير الهروب من السّلطة لإمساك الحياة بداخلهم، وحين تعني حياة القائمين على السّلطة والمقرّبين منها سرقة حياة الجماهير لزيادة فائض النّعيم المغموسين فيه. حين يسود الإحساس الجمعي

> إن لم تستثمر النّواة الثّورية بشكل جيّد من قبل الثّائرين قامت عليها الثّورة المضادّة فاكتنفتها وحوّلتها لصالحها

بالظّلم وبالقهر المتفشّيين في كلّ القطاعات التي لا يكاد يسلم منها أحد، بل وفي نقطة اللاّعودة، حتّى يرى النّاس الظّلم رؤيتهم للشّمس في رابعة النّهار، وحتّى يستوي عند مفجّرها أو مفجّروها تكلفة القيام بها مع تكلفة القعود عنها، أو كما قال صلاح عبد الصّبور في قصيدته الرّائعة «يوميات نبي مهزوم»:

يا أهل مدينتنا انفجروا أو موتوا

رعبٌ أكبرُ من هذا سوف يجيء..

عندئذ تنفجر الثّورة لكن بشرط أن يصبح درجة وعي الجماهير «وبالأحرى نخبته غير المدّجنة» أكبر بكثير من درجة وعي السّلطة بضرورة التّغيير السّلمي. هذا «الوعي» ضروريّ جدّا لنضج الثّورات، فالأحداث الكبرى تقيّم بقدر ما تترك لنا من تراث ثقافي ومفاهيم جديدة في شتّى فروع العلم والمعرفة، والتّاريخ خير شاهد. فعندما بدأت الثّورة العلميّة تنفجر في أوروبا في أوائل القرن السّابع عشر، كان الوعي الأوروبي يشتعل في كلّ مجالات المعرفة من علوم طبيعيّة وإنسانيّة وفنون، وبعد أن بلغت درجة الوعي درجة لا تستطيع سلطة الكهنة والملوك مسايرتها اشتعلت الثّورة الإنجليزيّة كأوّل ثورة أوروبيّة 1688م وبعدها بقرن تقريبا اندلعت الثّورة الأمريكيّة 1773 ضد المستعمر البريطاني، ثمّ الثّورة الفرنسيّة 1789 ثم ثورات بقيّة أوروبا التي أطلق عليها ربيع أوروبا القومي في القرن التّاسع عشر. وإذا اندلعت ثورة بغير هذا الشّرط فربّما كانت تشنّجات جسد يعالج نوبات الموت، لكن ربّما يولد من رحم هؤلاء الموتى جيل يؤمن برفض الظّلم ويبدأ العمل الجادّ المنظّم ومن ضمنها انتزاع حرّيته من المستبدّين. الثورة إذن ليست تذمّرا وليست هبة وليست مظاهرة تطالب بتحسين ظروف العبوديّة والقهر. وصف ماركس هذه الأشياء بـالجَيَشان الثوري، الذي يجعل القوى الثّورية تتلقّى هزائم متلاحقة تطيل عمر الثّورة المضادّة: «وحالما كان يعتري أحدى الفئات الاجتماعيّة الكائنة فوقها جيشان ثوري، كانت البروليتاريا تدخل في حلف معها وهكذا كان لها نصيب في جميع الهزائم المتوالية التي منيت بها الأحزاب المختلفة. بيد أنّ هذه الضّربات التي تلت كانت تضعف بقدر ما كان سطح المجتمع الذي تتوزّع فوقه يتّسع»[2].

## الفيروسات والمآلات

لدراسة مآلات الرّبيع العربي لابدّ من معرفة دقيقة بالفيروسات التي تهدّده وأخطرها على الإطلاق الجهل، لأنّه يسهل فيه توجيه دفّة الثّائرين باتجاه مستبدّين من الصّف الثّاني أو الثّالث دون علم الثّائرين عن هؤلاء شيئا. والفيروس الثّاني الخطير أيضا هو رغبة بعض الطّوائف المقهورة بالاستعجال في قطف الثّمار حتّى ولو على حساب الرّضا بقهر فريق آخر أو تخوينه أو حتّى محاربته على الهويّة أو ربّما تجريده من شرعيّة الوجود، أو بالتّوافق وعقد الصّفقات على من قامت عليهم الثّورة، هؤلاء يعملون في حانوت الثّورة ثوّارا نهارا وفي حانوت الثّورة المضادّة مستبدّين ليلا. فيروس ثالث هو سرعة اللّجوء إلى القاضي «صندوق الانتخاب»

للفصل في خصومة غير محدّدة، فالمبادئ التي سيتمّ التّداول عليها بين الفرقاء السّياسيين لم تكن قد وضعت بعد. ثمّة فيروس رابع هو وجود نخب مدجّنة من كلّ الأيديولوجيات وظيفتها تزوير وعي الجماهير، تعمل كصمّام أمان للاستبداد. هذه الفيروسات وغيرها كثير جعلت مسارات الرّبيع العربي غير واضحة المعالم، ففي بعض بلدان الرّبيع كانت نخبة الثّائرين تنتظر بل ربّما تراهن على خروج شخصيّة مثل «سوار الذّهب» من رحم المؤسّسة العسكريّة ليحرّر إرادة الشّعب ومن ثمّ يسلّم السّلطة للمدنيين، وهذا مثل الذي ينتظر المهدي المنتظر ليحرّر الأقصى. والبعض كانت مراهنته على الخارج على أنّه المخلّص ويتغافل عن أنّ الغرب هو المنتفع الوحيد من خلال بحثه دائما عن نقطة استقرار الصّراع بشرط ألاّ يمتدّ لهيبه إلى جنّته.

## استشراف اللّحظات الفارقة

على الأحزاب السّياسية ومن ضمنها الحركات الإصلاحيّة أن يكون لديها مشاريع وخطط تفصيليّة تستثمر فيها اللّحظات الفارقة ومنها «أنويّة الثّورات» بوعي وذكاء اجتماعي تستشرف المستقبل لتعلم متى تقع، وماذا تريد منها وكيفيّة التّعامل مع الطّغاة ومع المنتفعين من وجود الطّغاة بدرجاتهم المتفاوتة، ومع الفرقاء السّياسيين، وكيف تدار الثّورة من بدايتها حتّى تبلغ منتهاها في مؤسّسات تدير الدّولة ببرامج شاملة متخطية الأزمات التي توضع في طريقها. ويندر في العصر الحديث أن يتنازل ديكتاتور عن السّلطة طواعيّة، لأنّ الدكتاتورية في العصر الحديث لا تمثّل بفرد بقدر ما تتمثّل بتشابكات معقّدة من جماعات المصالح المتغلغلة داخل المجتمع بدءا من قمّة هرم السّلطة الديكتاتورية وانتهاء بأصغر منتفع منها ممّا يضع قيودا على سلوك الجماهير «فإمّا أن تثور وإمّا أن تعيش مقهورا» لذلك في أحيان كثيرة نجد أنّه لا بديل عن الثّورة، ورجاؤنا في الله أن يأتي التّغيير بالتّوافق وبطريقة سلميّة تصان فيها الدّماء، والأمل معقود على أبناء هذا الوطن الذي يجمعه حيز جغرافي واحد وقيم وعادات واحدة ولغة واحدة وتحركه ثقافة واحدة تحترم فيها الدّماء جدا، لكن له تجربة سابقة في الحرّية علّمته أنّ الأمر بيد الشّعب في تعيينه لحكامه وعزلهم وأنّ هذا الفعل أحد أسباب خيريّة هذه الأمة «... إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كُنْتُمْ إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ كَانُوا مُلُوكًا يَغْضَبُونَ غَضَبَ الْمُلُوكِ، وَيَرْضَوْنَ رِضَا الْمُلُوكِ»[3]، كان الرّبيع العربي نواة لهذا الفعل لدرجة أنّ ما حدث من هروب بن علي وتنحّي مبارك في غضون أيّام قليلة من اندلاع الثّورات كان لا بد وأن يدرس درسا عميقا، هل هو ناتج للفعل الثّوري حقّا أم هو احتواء من قبل رعاة الاستبداد لئلا تسقط دولتهم ويسقطون معها جميعا. هذه النّواة الثّورية إن لم تستثمر بشكل جيد من قبل الثّائرين قامت عليها الثّورة المضادة فاكتنفتها وحولتها لصالحها.

## الهوامش

[1] أحمد بهاء الدين شعبان ...(وآخ)، مباحث وشهادات 25 يناير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحرير عبد القادر ياسين، صفحة 264، بيروت (2013).

[2] كارل ماركس، «الثامن عشر من برومير ـ لويس بونابرت»، صفحة 11، هامبورج (1869).

[3] صحيح البخاري، حديث مرفوع رقم 4036 باب ذهاب جرير إلى اليمن.

# نهايات الجولة الأولى

د. حسين السنوسي
«أستاذ جامعي تونسي مقيم بفرنسا»
houcine.senoussi@gmail.com

1. أحاول أن أتذكّر الأيّام والأسابيع الأولى من الرّبيع العربي فيبدو لي أنّ دهرا طويلا مرّ عليها. أبحث في ذاكرتي فأرى -أوّل ما أرى- حاجز الخوف قد سقط وألسنة النّاس قد تحرّرت. أرى الشاعر العربيّ جدّا تميم البرغوثي يقول:

«سئمت بلاد المسلمين طغاتها *** فجدوا بلادا للطغاة سواها»

ثمّ بالعامّيّة المصريّة: « ياصبح طلّعت روحنا لجل تيجي ياخيّ».

2. أرى أيضا وجوها جديدة تغزو بلاتوهات التلفزيون معلنة إلغاء المسافة بين تونس الواقع وتونس الرّسميّة. كان هذا هو الجانب العمليّ للثّورة : دخلت الميدان قوى فكريّة وسياسيّة واجتماعيّة كانت ممنوعة لمدّة ستّين سنة على الأقلّ. بعض هذه القوى كانت تمثّل -فكريّا وطبقيّا وجهويّا - ما يمكن تسميته بتونس الجديدة صاحبة المصلحة في التّغييرالتّي تحلم بوحدة الأمّة وبتحرير فلسطين وبأن تطأ القدم العربيّة أرض المرّيخ إضافة طبعا -وهذا مرتبط بذاك- إلى توفير الخبز والكرامة لكلّ بيت.

"كانت أيّاما من أيّام الوطن. بعضنا ظنّ أنّ أحلام روّاد النّهضة ستتحقّق أخيرا وأكثرنا تفاؤلا قال إنّها بداية الحضارة العربيّة الإسلاميّة الثّانية."

**3.** كانت أيّاما من أيّام الوطن. بعضنا ظنّ أنّ أحلام روّاد النّهضة ستتحقّق أخيرا وأكثرنا تفاؤلا قال إنّها بداية الحضارة العربيّة الإسلاميّة الثّانية. كانت دواعي الأمل بسيطة إلى حدّ السّذاجة : هذه الأمّة -وهذا القطر بالذّات- تملك من الكفاءات ما لا يعدّ ولا يحصى، فبسقوط سدّ الإستبداد ستتمكّن هذه الكفاءات من التّعبير عن نفسها في ميادين السّياسة والإقتصاد والفكر، فإذا فعلت ذلك -وهي لابدّ فاعلته- فستكون بداية النّهضة -أوليست النّهضة هي الهدف الأسمى والأكمل للثّورة ؟

**4.** كان المتفائلون يعلمون أنّ العدوّ في الدّاخل والخارج «لا يريد» وأنّه قادر على إفساد اللّعبة وأنّ الإستبداد حيوان متعدّد الرّؤوس لكنّ الأمل في تلك الأيّام كان أقوى من الحذر لذلك لم يعر المتفائلون والحالمون اهتماما كافيا للأضواء البرتقاليّة التّي كانت تشتعل في كلّ مكان.

**5.** متى بدأت الصّعوبات الحقيقيّة تحديدا؟ يبدو لي أنّ هناك محطّات عديدة قادت الرّبيع من الأمل إلى الفشل ثمّ إلى ما يشبه اليأس ومن المدّ الثّوري إلى جزر ثوريّ مضادّ أقوى منه وأوسع.

**6.** هذه المحطّات شديدة الإختلاف في طبيعتها كما في مكان حدوثها ومدّتها لكن يجمع بينها التّأثير الكارثي على مسيرة الثّورة وتناسقها ومعنويّات من كانوا يؤمنون بها.

**7.** أولى هذه المحطّات هي التّدخّل الغربي في ليبيا الذّي كان مسمارا أوّلا وضخما دقّ في نعش ربيع العرب. يكفي أن نسأل «لماذا الثّورة ؟» لكي ندرك أنّ ما حدث كان خطوة عملاقة إلى الوراء رغم تبريرات الشّيخ القرضاوي وحديث البعض عن حلف الفضول وتظاهر البعض الآخر بأنّهم لم يدركوا التّناقض الصّارخ بين ما تفترضه الثّورة وما كان يمارس باسمها.

**8.** لماذا تقوم الشّعوب -والشّعوب العربيّة بالذّات- بالثّورة ؟ لأنّها تريدها طريقا إلى «الخبز والحرّيّة والكرامة الوطنيّة». يعني إنهاء التّبعيّة ونظم الحماية ونهب الثّروات ثمّ تأسيس علاقات جديدة مع الآخرتقوم على النّدّيّة. العكس تماما هو الذّي حدث في ليبيا.

**9.** عدّة أسباب رشّحت ليبيا لتكون الحلقة الأضعف التّي منها بدأ العدّ التّنازلي. أوّلها تبعيّة جزء من المعارضة اللّيبيّة لمخابرات أجنبيّة وثانيها غطرسة النّظام الليبيّ السّابق ودمويّته وهذا ما اتّخذته القوى الغربيّة تعلّة للتّدخّل.

**10.** بعد ليبيا جاء دور سوريا. كانت هذه هي المحطّة الثّانية. هناك أيضا بدأ التّحرك هادئا وسلميّا لكنّ تحالفا ضمنيّا بين الإستبداد والإستعمار الجديد، بين الرّجعيّة والرّجعيّة، بين الطّائفيّة والطّائفيّة فتح

أبوابا للجحيم لم تغلق إلى يوم النّاس هذا.

**11.** الوضع في سوريا أدّى إلى ولادة كائن خرافي يحمل اسما مخيفا لم يقف عند حدود الشّام ولا عند حدود العراق المجاور بل تمدّد كالسّرطان وانتشر في دار الإسلام وخارجها وأسرف في القتل -قتل العزّل أساسا- وفي الحرق والهدم.

**12.** لا بدّ أن نشير أيضا قبل أن ننهي الحديث عن هذه المحطّة إلى أنّ تعامل «النّظام الثّوري» في تونس مع الأزمة السّوريّة كان على درجة استثنائيّة من الرّداءة وتميّزبالإرتجال وبغياب الحكمة والمهنيّة فأضاف ذلك عاملا آخر لإضعاف المدّ الرّبيعيّ وممثّليه.

> **في تونس فشلت محاولات نقل السّيناريو المصري رغم عنف الحملة التّي قام بها البعض في سبيل ذلك.**

**13.** إذا كانت المحطّتان الأوليان للتّراجع قد أسالتا دماءا غزيرة وأزهقتا أرواحا كثيرة، فإن المحطّة الثّالثة لم ترق إذا صحّ القول «إلّا» دم رجل واجد ولم تزهق «إلّا» روحا واحدة، لكنّ نتائجها كانت استثنائيّة ونجاحها -من وجهة نظر «الفاعل الحقيقي» للجريمة- كاملا.

**14.** مثّل اغتيال السّياسي اليساري شكري بالعيد صدمة بالغة القسوة للتّونسيّين وطعنة في ظهر الثّورة وفتح الباب أمام ما سيحدث بعد أقلّ من سنتين: عودة النّظام القديم -في ثوب جديد-. إضافة إلى هذا فإنّ دلالات هذه الجريمة كانت مضاعفة: أوّلا «الثّورة المضادّة» مستعدّة لاستعمال كلّ الوسائل للوصول إلى أهدافها وثانيا : يبدو أنّ الفاعل الحقيقيّ للجريمة يملك ما يكفي من القوّة لمنع الحكومات المتعاقبة من كشفه.

**15.** يعود المسار الثّوري يوم تجرؤ حكومة تونسيّة على الإجابة على سؤال «شكون قتل شكري؟». هذا سؤال من أسئلة الثّورة.

**16.** نعود إلى محطّات التّراجع. في بداية شهرجويلية 2013 انقلب وزير الدّفاع المصري على رئيسه المنتخب معلنا بذلك النّهاية الفعليّة للرّبيع العربي والعودة إلى المشهد القديم (حكم العسكر والقوى القديمة بصفة عامّة) والممارسات القديمة (الإيقافات والتّعذيب والحكم بالإعدام) واللّغة القديمة (اتّهام الخصوم بالإرهاب مثلا).

**17.** إذا كان الإنقلاب المصري هو الإنجاز الحقيقي للـ «ثورة المضادّة» وكان كلّ ما سبقه مجرّد تحضيرات فإنّ ماتلاه لم يكن أكثر من «رتوش» تمّ بها إتمام الصّورة النّهائيّة للمشهد الجديد.

**18.** في تونس فشلت محاولات نقل السّيناريو المصري رغم عنف الحملة التّي قام بها البعض في سبيل ذلك ورغم جريمة أخرى ارتكبتها «الثّورة المضادّة» (اغتيال الحاج محمّد البراهمي) . أدّت

الحملة في النّهاية إلى تكليف حكومة تكنوقراط وبعد ذلك بسنة ونصف وصل حزب نداء تونس إلى الحكم -كما كان لا بدّ أن يصل (الرّتوش المذكورة في النقّطة السّابقة) - فنزل بذلك السّتار على الرّبيع العربي أو على الأقلّ على الفصل الأوّل منه.

**19.** مضى اليوم على فتح القوس الثّوري سبع سنوات وعلى إغلاقه أربع سنوات وهذه مدّة كافية للملاحظة ومحاولة الفهم.

**20.** الملاحظة أوّلا. لم يتحقّق هدف واحد من الأهداف التّي اعتبرت أو كان يمكن اعتبارها أهدافا للثّورة. الإقتصادات العربيّة في أسوإ حال. التّجزئة والتّبعيّة تعمّقتا. «الحرقة» صارت الأمل الوحيد لكثير من الشّباب. على المستوى الإعلامي عادت إلى الواجهة نفس الوجوه ونفس الخطابات التي ظننّا أنّ الثّورة قامت ضدّها. على مستوى القيم انتعشت كلّ القيم السّلبيّة بدون استثناء. على المستوى الثّقافي لا يملك الذّي يشاهد التلفزيون إلّا أن يعبّر عن اشمئزازه من اللّغة الرّكيكة التّي يستعملها الجّميع تقريبا-من الصحافيّين والسّياسيّين والمثقّفين إلى لاعبي كرة القدم وفنّانات الدّرجة العاشرة.

**21.** لولا خشية الوقوع في التّبسيط المانوي لقلت إنّ الجولة الأولى من الرّبيع العربي انتهت بانتصار قوى الشّر على اختلاف مشاربها على قوى الخير.

**22.** أقول هذا ثمّ أستدرك. كسبنا من الرّبيع العربي-في تونس أساسا- مكسبا لا يمكن تجاهله : حرّية الكلمة أو على الأقلّ سقوط حاجز الخوف.

**23.** أستدرك ثمّ أعود. هذه الحرّيّة يستعملها دعاة الهدم والذّين قامت «ضدّهم» الثّورة أكثر من البنّائين و الذّين قامت من «أجلهم» الثّورة. هي حريّة محدودة يوضع المتمتّعون بها تحت الرّقابة وترسم لهم حدود لا يتعدّونها. في انتخابات 2014 مثلا كانت الحدود واضحة : إذا فازت في الإنتخابات الجهة التّي تعلمون فستعود الإغتيالات وقد «نضطرّ» لنقل السّيناريو المصري. هي أخيرا حريّة الكلام. كدت أقول «حرّيّة الثرثرة». أمّا حرّيّة الفعل فمسألة أخرى.

**24.** بعد الملاحظة لا بدّ من محاولة الفهم. لماذا فشل الرّبيع العربي ؟ فشل في ماذا؟ في تحقيق أهداف الثّورة. وهل كانت للثّورة أهداف حتّى تتحقّق ؟ ألم تكن الثّورة تحرّكا عفويّا لا قيادة له ولا وجهة ؟

**25.** سقوط النّظام القديم لم يكن يرجى منه أن يحقّق «أهداف» الثّورة بل «شروطها». وشروط

> **كسبنا من الرّبيع العربي- في تونس أساسا- مكسبا لا يمكن تجاهله : حرّية الكلمة أو على الأقلّ سقوط حاجز الخوف.**

> ماكان للثّورة أن تنجح والمجتمع الذّي قامت فيه لا يملك قدرا كافيا من العقلانيّة وروح المبادرة وثقافة العمل- على الأقلّ في مستوى النّخب.

الثّورة كتغيير عميق نحو الأفضل هي تحرير الطّاقات والخروج من السّلبيّة وانطلاق المبادرة -فرديّة كانت أو جماعيّة- نحو فتوحات جديدة في كلّ الميادين.

**26.** هل حصل هذا؟ لا، بل لعلّ العكس هو الذّي حصل و يكفي أنّ نضرب لذلك مثالا واحدا يتعلّق بملفّ أساسيّ هو ملفّ البطالة.

**27.** تميّزت معالجة هذا الملفّ في الأشهر الأولى للثّورة بقدر لا بأس به من الشّعبويّة العبثيّة على المستويين الإقتصادي والتّنظيمي إذ أنّ الإنتدابات في القطاع العامّ لم تراع حاجيّات المؤسّسات ولا إكراهاتها.

**28.** في المقابل كانت انتظارات بعض العاطلين تنطلق من أنّ العمل (أو بالأحرى الوظيفة) حقّ لا تنازل عنه. من هنا جاءت التّسمية الغريبة التّي أطلقها بعضهم على أنفسهم : المعطّلون (بفتح الطّاء) وهي تسمية اتّهاميّة تضع مسؤوليّة «التّعطيل» على طرف محدّد : الدّولة.

**29.** أين الخلل إذن ؟ في بداية الثّورة سمعت صديقا يقول «إنّ مستقبل البلاد متوقّف على ما سيفعله رجال الأعمال» وأقول تصديقا وتدقيقا إنّ مستقبل هذا البلد الطّيّب -والأمّة عموما- متوقّف على تطوير روح المبادرة والمغامرة والفتح والإكتشاف في ميادين الإقتصاد والعلم والتّكنولوجيا أوّلا وأساسا.

**30.** نلخّص هذه النّقطة قبل المرور إلى ملاحظة سريعة نختم بها هذا الحديث. ماكان للثّورة أن تنجح والمجتمع الذّي قامت فيه لا يملك قدرا كافيا من العقلانيّة وروح المبادرة وثقافة العمل-على الأقلّ في مستوى النّخب التّي ينتظر منها أن ترسم خارطة الطّريق.

**31.** ملا حظة أخيرة ما كان بالإمكان أن نكتب في هذا الموضوع دون أن نثيرها: كان الربيع عربيّا في امتداده ثمّ صار إسلاميّا في مضمونه عندما أمكن للنّاس أن يختاروا من يمثّلهم ومن يحكمهم لكنّ الكثيرين في الدّاخل والخارج لم يريدوه عربيّا ولا إسلاميّا. قد يكون من المهمّ أن نبحث في هذا التّناقض عن بعض أسباب الخيبة.

**32.** للحديث شجون وقد تكون له بقيّة.

# 14 جانفي 2011
## شباب يثور... شباب مقهور

**مرّت 7 سنوات ولا يزال الشّباب يشعر بالإحباط إزاء الحقوق التي تجنّد من أجلها والشعارات التي رفعها أيام الثورة، منها "التشغيل استحقاق يا عصابة السراق"، و"لا خوف لا رعب السلطة ملك الشعب".**

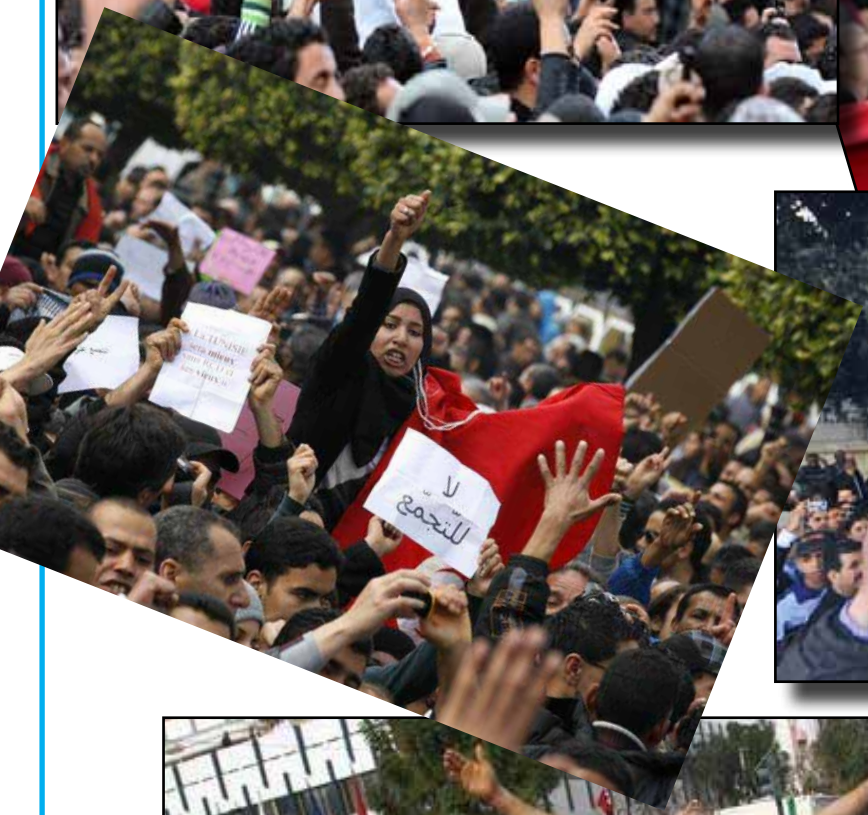

# إذا الشعـب يومـا أراد الحيـاة

د. سعيد السلماني
«أستاذ الفلسفة والفكر الاسلامي - المغرب»
selmanisaid2015@gmail.com

لا زلت أذكر يوم الاثنين 21_02_2011 ، كان يوما دموياً في ليبيا. قصف بالطّائرات والرّشّاشات وتجنيد عصابات وبلطجة من طرف «الزّعيم» وأعوانه. ما حدث في ذلك اليوم يجعلنا نطرح السؤال التالي: «ما الذي يجعل هؤلاء الحكّام يتشبّثون بالسّلطة بشكل جنوني حتّى آخر رمق؟»

يمكن أن نسجّل في البداية بأنّ السّلطة نعمة ونقمة في الآن نفسه، فهي نعمة عندما تكون شرعيّة، ونقمة عندما تغتصب اغتصابا، فالحاكم الشّرعي هو الذي تكون الدّيمقراطية شعاره ويكون سلوكه وتصرفاته انعكاسا لها على أرض الواقع. وعندما نتلفظ بالدّيمقراطية في هذا الصدّد فإنّنا نقصد الجانب الايجابي منها، المتمثّل في الحرّية والمساواة والإخاء والعدل، وليس الجانب الذي به تتمّ مخادعة الشّعوب. فالدّيمقراطية الحقيقيّة غير موجودة في العالم العربي، والأمر لا يعدو تشدّقا بها ورفعها شعارا عاليا مزركشا، وهذا ما كذّبته الشّعوب العربيّة عندما خرجت على بكرة أبيها تطالب بإرجاع المعنى للدّيمقراطية، فالشّعوب لا تخرج للشّوارع اعتباطا، أو حبّا في التّظاهر، وإنّما هناك حقوق أهدرت وكرامة انتهكت

وحرية قمعت وعدل كاذب ومزيف.

إنّ الشّعوب العربيّة والإسلاميّة ليست مغفّلة أو لا تعرف قضاياها- بل تنتظر الفرصة السّانحة لتجهر بكلمة «لا» في وجه الطّغاة، وقد أحسن الوصف أحد البّاحثين الفرنسيين في كتابه «المغرب المجهول» ، حينما عبّر عن هذه الحقيقة بقوله: «كلّ مسلم يولد وفيه شيء من الدّبلوماسيّة، فالمسلم يشكّل لغزا، وسيكون أكثر رجالنا السّياسيين دهاء مجرّد تلميذ أمامه، وهو من طبيعة مرنة، وذكيّة، متمرّسة على الجدال، تلتف ببراعة على الصّعوبات، منفعلة لكنّها تحسن الانتظار». إنّ هذه المقولة تؤكّد لنا بشكل واضح، صبر هذه الشّعوب وتحمّلها لأنظمتها التي مارست وتمارس كلّ المراوغات والحيل من أجل السّيطرة عليها وعلى خيراتها بالتفقير والتّجهيل والتّدجين...الخ، غير أنّ كل هذا لن ولم ينفعها في شيء، فالشّعوب لها وسائلها الخاصّة في التّثقيف واستيعاب الدّروس، فقد أعطت للحكام فرصا عديدة من أجل استدراك الأخطاء، لكنّهم اعتقدوا بأنّهم استحكموا البلاد والعباد، وفرحوا بما أوتوا، لكن هيهات، فإن الثورة لا زالت مشتعلة في القلوب والعقول، في يوم ما ستأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

> **إنّ الشّعوب العربيّة والإسلاميّة ليست مغفّلة أو لا تعرف قضاياها بل تنتظر الفرصة السّانحة لتجهر بكلمة «لا» في وجه الطّغاة**

إنّ الشعب إذا أراد الحياة واستجاب لنداء الحرّية والعدالة، سيثور لا محالة، وهو ما حصل في تونس وليبيا ومصر وغيرها من البلاد العربيّة. فجأة أخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون، بل تفاجؤوا بدواجنهم تصرخ في وجوههم بعدما أحكموا تدجينها، ونسوا أنّ النّسور كانت تحرّضهم خلسة وتعلّمهم معنى الإرادة والحرّية وتكسير حاجز الخوف من النّظم المتسلّطة لأنها أخوف من الخوف نفسه.

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ... ولا بد للقيد أن ينكسر

إن مصمّم هذه الأبيات الشّعرية مهندس عبقريّ ونسر خفيّ لو كان على قيد الحياة لأعدمه الحكّام ألف مرّة، فقد أدرك هذا النّسر أنّ الشّعوب في ظلّ القهر لا يبقى لها سوى الإرادة، التي لا يمكن قهرها أو قبرها. فالإرادة هي كلّ شيء في التّغيير، وعندما تكون جماعيّة، يصبح التّغيير أشمل وأنفع، وهذا ما حدث في تونس ولواحقها.

إنّ هذه الثّورات أبانت عن هشاشة السّلطة التي كان يملكها أولئك الحكام، فهم لم يستمدّوا شرعيّتهم بطرق شفّافة وواضحة، إنّهم التفّوا حولها وفعلوا ما فعلوا وهم يعلمون، وبالتّالي إعطاء الشّرعية عن طريق التّزوير والخداع واختلاس ثروة الشّعوب..، فهم الكرماء والشّرفاء والسّادة مادامت السّلطة بأيديهم وزوالها يعني الذّل والهوان. وعليه، فلا كرامة ولا شرعيّة ستبقى عندما تنتزع منهم السّلطة انتزاعا. إنّ هذا فيما أعتقد؛ هو سرّ التّشبث بالسّلطة حتّى استنفاذ آخر ورقة يمكن توظيفها.

# ثورات ومؤامرات... ماذا بقي منها؟

محمد الصالح الضاوي
«باحث في الإسلاميات والتصوف»
dhaoui66@gmail.com

في الأسابيع التي تلت الثّورة التّونسية، في 2011، كنت شاهدا على اتصال بين الأستاذ الإعلامي والأديب سمير بن علي المسعودي والدكتور السّوري المعارض لنظام الأسد برهان غليون، الذي سأل عن ثورة تونس: هل هي ثورة شعبيّة أم مؤامرة من الغرب؟ كان السّيد برهان غليون، متردّدا في فهم المشهد التّونسي، ومتشكّكا، ومستغربا قيام ثورة شعبيّة لا لون لها إلاّ الكرامة والحرّية والتّشغيل.

بعد هذه المحاورة بين الشّخصيتين، اقتنع المعارض السّوري بالثّورة التّونسيّة وبتداعياتها على مصر وليبيا واليمن... ثمّ سوريّة... انتخب رئيسا للمجلس الوطني السّوري في أكتوبر 2011، والذي يمثّل مختلف أطياف المعارضة السّورية لنظام الأسد، ثمّ استقال منه بعد سنة ونيف... لكنّه عاد في سبتمبر 2017 ليسأل: هل انتهت الثّورة السّورية؟ [1] ، وذلك بمناسبة بدء مفاوضات بين مختلف القوى الدّولية المتدخلة في الشّأن السّوري، لوقف الحرب، التي أشعلتها بالاشتراك مع النّظام السّوري.

السّيد برهان غليون، أكّد في مقاله التّحليلي، أنّ الحرب يوقفها من أشعلها، ولكنّ الثّورة لا تنتهي إلاّ بتحقيق مطالبها، التي اندلعت من أجلها: الدّيمقراطية والحرّية للشّعب السّوري.

ولعلّ سؤال الثّورة السّورية الذي فجّره السّيد برهان غليون في مقاله، سالف الذّكر، ينسحب على بقيّة ثورات الرّبيع العربي، التي كانت موضع تشكيك وتردّد في فهمها والقبول بشرعيّتها، وانتهى بنا المطاف لنسأل: ماذا بقي منها؟.

> "إنّ الحرب يوقفها من أشعلها، ولكنّ الثّورة لا تنتهي إلاّ بتحقيق مطالبها، التي اندلعت من أجلها: الدّيمقراطية والحرّية."

## سؤال البداية

منذ اندلاع الثّورات العربيّة، شهدنا تساؤلات عن ماهيتها وشرعيتها وحتّى عنوانها... بفعل عنصر المفاجأة في انطلاق شرارتها من حادثة انتحار البوعزيزي حرقا، ثمّ انتشارها إلى مصر وليبيا وبقية البلدان العربيّة [2]... ولم تكن الجهات الدّولية بأفضل حال من نخبتنا العربيّة، في صدمتها، من حيث ماهيتها وتوقيتها... لقد شهدت الولايات المتحدة الأمريكية تناقضات بين مواقف الرّئيس أوباما، ووزيرة خارجيته كلينتون، تعكس الصّدمة التي عاشتها مؤسّسات صناعة السّياسة في أمريكا، وحتّى الكتّاب وصنّاع الرأي الأمريكيين. «ويأتي توماس فريدمان (كاتب وصحفي يهودي أمريكي) ليتبنّى التّناقض الموجود في واشنطن ومراكز العصف الذهني. وهو يردّد أنّ الرّبيع العربي لا يمثّل ثورة بمعناها الصّحيح. ولكنّه من جانب آخر يقف معها» [3] .

ويتّفق الكثير من المحلّلين، على أنّ «ثورات الرّبيع العربي (كانت) بمثابة الصّدمة للإدارة الأمريكيّة التي لم تستطع استخباراتها الوصول إلى معلومات مسبقة حول إمكانية انطلاقها، وهذا ما حصرها في زاوية التّفكير العميق لإيجاد سبل للتّعاطي مع هذه الثّورات المفاجئة بشكل يخدم مصالحها» [4] .

ويؤكّد غرايم بانيرمان كبير الباحثين في معهد الشّرق الأوسط بواشنطن، ومسؤول سابق في الخارجيّة الأميركيّة، في إحدى تدخّلاته على قناة الجزيرة، على أنّ «الولايات المتّحدة لم تفهم الاضطرابات الاجتماعية التي حدثت في مصر سنة 2011، ولم تتوقّع أن تسير الأحداث بتلك السّرعة، وأضاف، أنّ سرعة الأحداث تجاوزت قراءة الجميع في بداية اندلاع الثّورة [5] .

## عفويّة أم تخطيط؟

ويبدو أنّه وقع اكتشاف عدّة حقائق عن الرّبيع العربي بعد 2011، بفعل تسريب وثائق وتقارير، تؤكد وجود برامج وتخطيط بدأت مباشرة بعد أحداث سبتمبر 2001، ترمي إلى إحداث تغييرات في المنطقة العربيّة، تتجانس مع المبادئ والقيم الأمريكية، مثل: حقوق الإنسان والحرّية والدّيمقراطيّة والحوكمة الرّشيدة. وهي القيم التي ترى المؤسّسات الأمريكيّة أنّها تتقاطع مع مصالحها في الكثير من المواضع، وإلاّ فالمصالح مقدّمة على القيم.

وتتّفق العديد من المصادر على نفي العفويّة عن الرّبيع العربي، فإضافة إلى الموقف الرّوسي التقليدي من هذه الأحداث، والذي يعبّر عنه الخبراء الرّوس [6] ، والتي يرى فيها الأيدي الأمريكية تعبث بالمنطقة

> يؤكّد الكثير من الخبراء أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفائها، استحوذوا على الثّورات العربيّة، ودجّنوها وفق رؤيتهم القيمية والمصلحيّة

العربيّة، ممّا يفسّر حجم تدخّلها في الملف السّوري، لقلب الموازين وإثبات المصالح الرّوسية، يؤكّد مركز غلوبل ريسيرش التّخطيط المسبق للثّورات العربيّة، في تقرير له نشر سنة 2015[7]. كما نشرت منظّمة: «مجمعات الخبرة الأمريكية» تقريرا أمريكيّا حكوميّا عن «حقيقة الشّراكة مع الشّرق الأوسط» (2002) وهو تعبير ناعم عن حقيقة التّدخل الأمريكي لتغيير الأنظمة الاستبداديّة بأخرى ديمقراطيّة تابعة لها. «فقد بينت مواد التّقرير تورّط البيت الأبيض في الثّورات العربيّة التي عصفت بعدّة دول منطقة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا. حيث أنّ الوثيقة المذكورة، المؤرّخة بتاريخ 22 أكتوبر 2010، أطلق عليها «مبادرة الرّبيع العربي بالشّرق الأوسط: نظرة عامّة» وهي وثيقة سرّية تمّ الوصول إليها من طرف المنظّمة بفضل قانون حرّية المعلومات، فالولايات المتّحدة الأمريكيّة، حسب هذه الوثيقة، وضعت في مخطّطاتها الدّاخلية العديد من الاستراتيجيات لقلب وزعزعة الأنظمة في البلدان المستهدفة بالاعتماد على "المجتمع المدني" بعدما مهّدت لذلك الأرضيّة عبر عدّة أعمال جوهريّة مستندة بالخصوص على عمل المنظّمات غير الحكوميّة» [8].

## سؤال الحقيقة

أين الحقيقة، وسط تراكم المعلومات والمواقف المتناقضة، من هنا وهناك؟ يبدو أن الإجابة عن هذا السؤال لا تزال بعيدة، في انتظار ظهور المزيد من الخفايا من وراء كواليس الأجهزة الصّانعة للحدث... ولكن لا يمنع ذلك من تدوين بعض الملاحظات التي من شأنها تحديد موقف واقعي ممّا يدور حولنا:

**أوّلا:** العديد من الوثائق أثبتت أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة أطلقت برنامجا للتّغيير في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، تحت عنوان الشّراكة، وذلك غداة أحداث 11 سبتمبر 2001، واستثمرت في هذا البرنامج الكثير من الأموال والخبرات والملتقيات والتّربصات والتّدريبات للشّباب والنّخب العربيّة لتحقيق أهداف برنامجها الذي يخدم أساسا مصالحها ورؤيتها للعالم.

**ثانيا:** شهد العالم العربي في العشرية الأولى للقرن الحادي والعشرين العديد من الأحداث والمبادرات التي كانت وراءها تخطيطات مجلس العلاقات الخارجية، الراعي الرسمي لبرنامج الشّراكة مع الشرق الأوسط مثل: «ما حدث في مصر من نشوء حركة كفاية في 2004 ونشأة «ائتلاف دمشق» بسوريا في 16-10-2005، وبعده بيومين فقط أي في 18 -10 - 2005 نشأت هيئة 18 أكتوبر للحقوق والواجبات في تونس .. ثم بدا أوّل تحرّك بطيء نحو انطلاق الرّبيع الأمريكي « الرّبيع العربي» مع انتفاضة القضاة في مصر في مايو 2005 ثم إضراب جوع هيئة 18 أكتوبر في تونس ..ولا يخفى علاقة جماعة 18 أكتوبر بالسّفارة الأمريكيّة خاصّة

من ذلك منح تصاريح دخول لبعض الأشخاص للسّفارة متى شاؤوا كما حدث مع أحمد نجيب الشّابي أو أحمد إبراهيم أو زياد الدّولاتي أو صلاح الجورشي وغيرهم كثير..» [9] .

**ثالثا:** كان توقيت الثّورة التّونسية ثمّ الثّورة المصريّة، وانتشارهما، عنصر مفاجأة للأمريكيين، بفعل التحرّك الشّعبي خارج التّأطير والتّخطيط الأمريكي... لكن سرعان ما استعادت الدّولة العظمى زمام المبادرة، وذلك باستئنافها التّأثير على الثّورات العربيّة، وتوجيهها والتّدخل فيها عسكريّا واستخباريّا وماليّا. والكثير من الخبراء اليوم، يؤكّدون، أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة وحلفاءها، استحوذوا على الثّورات العربيّة، ودجّنوها وفق رؤيتهم القيمية والمصلحيّة، من خلال مختلف الوسائل الدبلوماسيّة والاقتصاديّة والمعونات والمؤسّسات الدّولية والتّدخل الأمني والاستخباراتي [10].

> **يبدو أن تسويق تقارير التّخطيط المسبق للرّبيع العربي، بشكل مكثّف ومضغوط، يهدف إلى نسف روح الرّبيع العربي.**

## ماذا بقي؟

الأحداث التي تعيشها الدّول العربيّة، التي عرفت ثورات شعبيّة، أجهضتها أجندات داخليّة وخارجيّة، تثبت بما لا يدع مجالا للشّك، قصر عمر العفويّة في الرّبيع العربي، وسرعة المؤامرة في تثبيت أقدامها في عمق المجتمع وعلى أكثر من صعيد، حتّى وصلنا إلى الحديث عن نجاح القوى المضادّة في إجهاض الثّورة، وتحويل مسارها إلى ظاهرة صوتيّة وإعلاميّة لا غير.

لقد تبدّلت وسائل الاستبداد والحكم الفردي بوسائل أخرى ذات لبوس ديمقراطي، لكن الحوكمة ظلّت ذات نفس الجوهر والمحتوى... كما تدهورت قدرات الفرد العربي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتعليميّة، وتعثّر المسار الانتقالي في رسم لوحة حالمة لمستقبل أفضل، رغم بعض العناوين الايجابيّة التي انفلتت من هذا التّقييم، والتي مثّلت الاستثناء الذي يثبت القاعدة.

وأخيرا، يبدو لي أن تسويق تقارير التّخطيط المسبق للرّبيع العربي، بشكل مكثّف ومضغوط، يهدف إلى نسف روح الرّبيع العربي... تلك العفويّة الشّعبية التي انطلقت بلا حسابات ولا قيادة ولا تخطيط، من أجل حلم جماعي... وقتل هذه الرّوح الأصيلة هو آخر مسمار في نعش الرّبيع العربي، يدقّ بأيد صديقة وشقيقة.

## الهوامش

**(1)** غليون، برهان: هل انتهت الثورة السورية؟، مقال نشر بالعربي الجديد في 17-09-2017.

**(2)** حول عنصر مفاجأة للربيع العربي، للأمريكيين، يرجى الاطلاع على:

الموقف الاستراتيجي الأمريكي والإسرائيلي من التحولات السياسية في المنطقة العربية، تحرير: عبد الحميد الكيالي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط 1، 2011، عمان، صص 11 وما بعدها.

**(3)** العسكر، عبد الله بن إبراهيم: موقف أمريكا من الربيع العربي، صحيفة الرياض بتاريخ: 29-02-2012.

**(4)** سلمي، جلال: بواعث إدارة الولايات المتحدة وتركيا الربيع العربي بشكل مشترك، موقع ترك برس.

**(4)** برنامج الواقع العربي، على قناة الجزيرة، بتاريخ الخميس 7-5-2015.

**(5)** أكد ذلك الخبير الروسي في شؤون الشرق الأوسط (فياتشيسلاف ماتوزوف) بتاريخ 3 \ اذار-مارس \ 2013 م خلال مقابلة له مع قناة (روسيا اليوم): " أن المبادرات لتغيير الأنظمة العربية ليست منبثقة من داخل العالم العربي .... وأن هذه الفكرة وصلت من الخارج وتقوم بتحريكها منظمة غير حكومية أسمها ( Business For Diplomatic ) تأسست عام 2005 م من أجل ذلك، وذكر أيضاً أن هدف الولايات المتحدة الأمريكية من ذلك خلق عالم عربي ضعيف ليست فيه معارضة قادرة على تغيير الخارطة السياسية لمنطقة الشرق الأوسط، ولذلك انفقت ملايين الدولارات وساعدها في تحقيق أهدافها، فساد بعض القيادات العربية وكذلك التصادم بين مصالح الشعوب وقيادات الدول العربية .

**(6)** السلامات، حمزة: حقيقة الدور الأمريكي في ثورات الربيع العربي، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

**(7)** التهامي، ريهام : جلوبال ريسيرش: أمريكا وظفت ثورات الربيع العربي لصالحها، موقع البديل بتاريخ 31-10-2015.

**(8)** الكحل، سعيد : أمريكا صانعة الربيع العربي، موقع السكينة، بتاريخ 19-06-2014.

**(9)** بن رحومة، لسعد: أمريكا: دعما للديمقراطية العربية ..لماذا؟ وكيف؟ «الربيع العربي». مقال نشر في الفيسبوك بتاريخ: 14-11-2012.

**(10)** ينصح بقراءة:

الزين، حسن محمد: الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، (مقاربة بحثية توثيقية تعتمد على 350 مصدرا للمعلومات...) دار القلم الجديد، بيروت، ط 1، 2013.

# الرسم على الجدران
# سلاح اعتمده الثوار في تونس

البحري العرفاوي
«شاعر وأديب تونسي»
bahri.arfaoui@yahoo.fr

# في الذكرى السابعة ...
# هل أنجبت «الثورة» ثوريين؟

## بين الثقافي والسياسي

تسريبات ويكيليكس واحتراق محمد البوعزيزي رحمه الله عاملان مهمان في فهم ما حصل ويحصل في بلادنا وغيرها تحت عنوان «الربيع العربي» ... لسنا ممن يستبسط تأكيد حصول «ثورة» ولا من الذين يربطون كلّ الأحداث بعوامل خارجيّة... من المهمّ جدّا تحمل المثقّفين لمسؤوليّة تدقيق قاموس الخطاب السّياسي بما يسهم في بناء وعي عميق هادئ ومستقبلي حتّى لا نغرق في خطاب شعبوي استرضائي يمتطيه السّياسيون في عمليات التّسول الإنتخابي والغنائميّة السّياسية...وحتّى لا تختلط المفاهيم ولا تلتبس المسائل على العامّة بحيث تصبح «الثّورية» في متناول الحمقى والفارغين والزّائفين وذوي السّجلات السّوداء وحتّى لا يتدافع المسكونون بـ «عقدة الفتح» يمنّون على الشّعب بما لم ينجزوا ويريدون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا...الوعي السّياسي الذي يُشيعه المثقّفون الأحرار هو الذي يحمي «الشّعب» من مشاريع الإختراق الحزبي يحرص بعض السّياسيين على «تملك» الجماهير بها بحيث يسلبونهم إرادتهم واستعداداتهم

الإنسانية للتفكير والنقد والشّك والإعتراض.

إذا كان الخطاب السّياسي يُبشّر دائما بالإكتمال فإنّ الخطاب الثّقافي يحذر دائما من الخيبات.

## في الذكرى السابعة ...
## هل أنجبت «الثورةُ» ثوريين؟

يحتفل التونسيون هذه الأيام بالذّكرى السّابعة لهروب رمز النّظام القديم ولتفجّر أشواق النّاس وأحلامهم ولارتفاع أصواتهم واتّساع دائرة حرّياتهم... سبع سنوات كاملة مضت والتّونسيون يشتغلون على مفردة «الثّورة» ويخوضون حراكا وتفاعلا لم يعرفوه من قبل وعلى كلّ المستويات سياسيّا وإعلاميّا وثقافيّا ونقابيّا وحتّى عبثيّا...

والسّؤال المركزي بعد هذه السّنوات السّبع هو: هل أنجبت «الثّورة» ثوريّين؟

"سبع سنوات كاملة مضت والتّونسيون يشتغلون على مفردة «الثّورة» ويخوضون حراكا وتفاعلا لم يعرفوه من قبل وعلى كلّ المستويات سياسيّا وإعلاميّا وثقافيّا ونقابيّا وحتّى عبثيّا"

سبع سنوات هي مدّة زمنيّة مهمّة لإحداثِ قَدْرٍ من التّغيير في الأفكار والرّؤى والقيم وفي العلاقات وموازين القوى، وهي فترة تبدو أيضا كافية لإحداث درجة غير يسيرة من القطع مع الماضي بما هو عقليّة وقيم وممارسات وبما هو شخوصٌ ورموز سياسيّة تداولت على المناصب والوظائف ومراكز القرار، هل استطاع التّونسيّون في هذه السّنوات السّبع إنجاز نقلة نوعيّة على المستوى القيمي والعلائقي والهيكلي وعلى مستوى ظروف النّاس المعيشيّة ؟ هل استطاعوا تفكيك الجهاز القديم واستبداله بجهاز جديد؟ وهل استطاعوا في النّهاية استعادة إرادتهم المغتصبة من بين أيدي المستبدّين والمزوّرين والمفسدين ولوبيّات المال والتّهريب والإرهاب؟.

ونحن نحتفل بهذه الذّكرى علينا ألاّ نجعل من احتفالنا مجرّد سهر وطرب وامتداح لشجاعة الشّجعان وفروسيّة الفرسان وألاّ نكتفي بالتّرحم على الشّهداء، إنّما علينا طرح الأسئلة الحدَث وتقييم حصاد سنوات سبع ساخنة وحبلى بالأحداث والمفاعيل،علينا تأمّل المسافة الفاصلة بين ما هو كائن وما كان منتظرا أن يكون، بين شعارات من سدّوا الشّوارع على الإستبداد حتّى أخرجوه وبين ما انتهى إليه المشهد السّياسي اليوم وخاصّة بعد آخر انتخابات برلمانية .

ما الذي تحقّق للفقراء والمُعدمين والمعطلين؟ ما الذي كسبته الجهات المنسيّة وقد سالت فيها دماء شبابها غير تشويهها بلوثة «الإرهاب» وتحويلها إلى منطقة عسكريّة مغلقة؟ ما الذي تحقّق لضحايا عقود من الاستبداد ولذُرّيات الشّهداء والمفقودين والمُحطمين؟ ما الذي حقّقته «العدالة» للمظلومين وهم يشاهدون ظالميهم يستعيدون السّيطرة على المشهد من جديد بل ويتوعّدون ضحاياهم باستئناف جرائمهم ضدّهم؟

> **لا يمكن ردّ أسباب الفشل دائما إلى مؤامرات الآخرين وإنما علينا أن نتّهم أنفسنا بالتّقصير والعجز وسوء التّصرف وضعف الحكمة وافتقاد الرّؤية.**

أسباب الفشل لا يمكن ردّها دائما إلى مؤامرات الآخرين وإنّما علينا أن نتّهم أنفسنا بالتّقصير والعجز وسوء التّصرف وضعف الحكمة وافتقاد الرّؤية. وفي السّياسة لا وجود لضحايا، إنّما يوجد فاشلون وعاجزون أو فاقدو تجربة ودراية، وهذه مناسبة لكي يُحاسِبَ المعنيّون بالثّورة أنفسهم بشجاعة وصرامة وموضوعيّة ولكي يراجعوا «نظريّتهم» في «الثّورة» وتمشّياتهم في معالجة الأوضاع وفي الخروج من «الماضي» إلى «المستقبل» ومن «القديم» إلى «الجديد».

كيف استطاعت «الدّولة العميقة» ابتلاع القوم وهم يحتفلون، وهم يتنافسون، وهم يتقاسمون الأمجاد والمكاسبَ؟ كيف ومتى اشتغلت تلك «العميقة» ولم يرها أحدٌ ولم تنتصب في السّاحات والملاعب حتّى حصدت أصوات ضحاياها فحملوها على أعناقهم يمتدحون مصّاصي دمائهم ويلهجون بالشّوق إلى عودة سلطانهم؟ كيف خسر المعنيّون بـ «الثّورة» مكانتهم السّياسيّة في أوّل محطّة انتخابيّة هامّة وبعد أربع سنوات من الخطاب والتّنظير والتّحشيد؟

لقد أصيب الكثير من الحالمين ومن الحماسيّين بالصّدمة والخيبة وحتّى ببعض اليأس وقد انتاب الكثيرين شكّ في صفاء معدن الشّعب وخاصّة متساكني الشّمال الغربي كما تملّك الكثيرين خوفٌ من عودة سنوات الأحزان والأوجاع بسبب عودة رموز الإستبداد...إنّنا لا نخشى المستبدّين قَدْر خشيتنا من المهزومين الخائفين وقدر خشيتنا من الانتهازيين الذين سارعوا إلى احتلال مقاعد أماميّة عشيّة 14 جانفي 2011 وتكلّموا في «الثّورة» بخطاب أجوف رياءي منافق كاذب، إنّهم هم من شوّش على ثقافة الثّورة وهم من روّج خطابا سطحيّا أجوف فزيّفوا الوعي وأشاعوا الوهم وغالطوا العامّة حين استسهلوا القول بنجاح «الثّورة» ولم يتحمّلوا مسؤوليّة التّنظير لها ومسؤوليّة استنبات الوعي وإشاعة الأفكار والمعاني وتصليب الإرادة ودعم روح المقاومة الثّقافية والأخلاقيّة من أجل مستقبل أرقى وأنقى... الواهمون يومها هم الخائفون اليوم، الغنائميّون يومها هم المُحبطون اليوم، المنافقون يومها هُمُ الجبناء اليوم.

إنّنا لم نفاجأ بتعثّر المسار لإيماننا دائما بكون المقدّمات لها مآلاتها الحتميّة ولسنا مهزومين اليوم ونحن نحيي الذّكرى السّابعة لسؤال «الثّورة».

سنظلّ نخوض معركة الأفكار والمعاني والقيم وسنظلّ نستحثّ السّير على بصيرة باتجاه مستقبل مختلف أرقى وأنقى وسنظلّ نستنبتُ معاني الحياة والكرامة والعدالة ونؤجّج أشواق الحرّية ونُذكّي إرادة

التّحرّر،سنظلّ مسكونين بالسّؤال وبالأمل والأشواق لا نيأس ولا نخاف ولا نتردّد في قول ما يجب وكما يجب ومتى يجب، وسنظلّ مؤمنين بكون الحقّ لا ينال من كونه حقّا ضعفُ أنصاره وكون الباطل لا يستحيل حقّا بسبب كثرة أتباعه.

إنّ الثّورة رؤية ومسار وذهابٌ مبصر إلى مستقبل دائم، إنّ الثّورة ليست شجرة يُمكن أن تُجتثّ أو تحرق ولكنّها دفقُ ماء من بين صخور جبال لا تنحني ولا تغير أمكنتها.

"إنّ الثّورة رؤية ومسار وذهابٌ مبصر إلى مستقبل دائم، إنّ الثّورة ليست شجرة يُمكن أن تُجتثّ أو تحرق ولكنّها دفقُ ماء من بين صخور جبال لا تنحني ولا تغير أمكنتها."

## أسئلة «الثورة» أو الشعارات والمسارات

إذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مُرادها الأجسامُ

يمكن أن يذهب المفسّرون لبيت أبي الطّيب المتنبي مذاهب شتّى ولكنّنا سنذهب فيه إلى ما يُعبر عن حال من كانت انتظاراتهم كبيرة من «الثّورة» ومن قرؤوا الحدثَ انطلاقا من أحلامهم وليس من واقعهم...عشيّة هروب رمز النّظام السّابق تدافعت إلى المشهد السّياسي والإعلامي وجوه لم نرها من قبل ولم نسمع لها صوتا وتكلّم سياسيّون وفنّانون وإعلاميّون بنبرات الثّوار الأشاوس ورووا بطولات ومعارك ونضالات تجعل منهم مشاتل من مانديلا الذي لم يتكلّم كما تكلّموا ولم يتعال كما تعالوا.

لم تُطرح في البداية «أسئلة الثّورة» من حيث معانيها وأهدافها ومساراتها وأخلاقها ومن حيث أصدقاؤها وأعداؤها...من أين تنطلق الثّورات؟ من العقول والضّمائر والمفاهيم والسّلوكات أم من الشّعارات والصّرخات والإنفعالات؟ كيف نُسهم في تحقيق الثّورة؟ عبر التّوغل في الأعماق وابتداع المعاني والأفكار وإحياء القيم وتمتين الوشائج الإجتماعيّة وإثراء قاموس الخطاب بمفرداتٍ مُحيية وبناءة وفعالة أم عبر الطّفح السّياسي والمبالغة في الضّجيج والعراك واختلاق الخصومات وادعاء البطولات؟

لم يكن السّياسيون المشتغلون في «الثّورة» على رؤية واحدة بل ثمّة من لم يكن يمتلك رؤية ولا مشروعا...لم تكن مطالب النّاس متشابهة ولم تكن تأويلات دماء الشّهداء تصدر عن مشكاة واحدة... ثورة من على من؟ ثورة من منِ أجل ماذا؟ لم يكن التّونسيون يقفون على أرضيّة صلبة ولم يكن الهدف واضحًا، كانوا كما لو أنّهم يتحركون على منزلق طيني تتغيّر التّحالفات والصّداقات والشّعارات والمواقف بحسب المصلحة وموازين القوى وبحسب تأثيرات الدّاخل والخارج. تلهج القواعد أمام بعض القادة بضرورة الحسم الثّوري ويذكرون الأزلام والجلادين يُقسمون أنّهم لن يمروا.. يتكلّم بعض الزّعماء في النّهار عن المحاسبة والعدالة ثم يلتقون في اللّيل مع «الخصوم» باسم الواقعيّة والتّسامح

> **صُـــدم الكثيـــرون وهم يـــرون مســـار الثـــــورة يتحـــول إلى «خارطة طريق» ودرب الجماهيـــــر يتحول إلـــى «طاولة حـــــوار» وهتافات الشّعـــب تتحـــول إلى «رباع راعٍ»**

والمصلحة الوطنية...يُجَمع الزعماء الحشود الشعبية في الساحات والشوارع ولكنهم لا يُفعّلونها في معاركهم ولا يحسمون بها خصوماتهم بل ولا ينتصرون بها لشعارات الثورة... بعض الزّعماء يبدؤون بـ «الكبس» ثم يرتخون ويتحوّلون إلى عقلاء يهدئون الأجواء ويصلحون ذات البين ولا يجيبون عن أسئلة الجماهير: لماذا حشدتنا إذن؟ ولماذا تخلّيت عنّا؟ ومن هم الخصوم ومن هم الأصدقاء للثّورة؟ ومن ثار على من؟.

كنا أشرنا منذ الأيام الأولى لفرار رمز النظام السابق إلى أنّ الأوهام الكبيرة ستخلف صدمات في عقول وأنفس الواهمين... لقد صُدِم الحالمون حين رأوا «الثّورة» تحني هامتها لـ «الأزلام» وتتفاوض من أجل الحفاظ على عنوانها فقط حتّى وإن أفرغ من مضامينه بحيث تُصبح الثّورة بغير جماهير وغير شرعيّة وغير مناضلين وبلا ثوريين...

تُصبح ثورة بملامح وتعريفات جديدة وخصوصيّات لم تسبقها إليها ثورة من ثورات التّاريخ، إذ يتصالح الجميع مع الجميع ويركب الكلّ في سفينة «الفرقة النّاجية» ولا يَغرق أحدٌ لا في البحر ولا في سوء أعماله...ثورة لا تحاكم ولا تسجن ولا تعدم ولا تمارس الحسم الثّوري بل ولا تفصل بين القدامى والجدد .. يتحوّل المهجّرون والسّجناء والمعذّبون إلى «سلطة» ... فاشلة...ويتحوّل جزء من المنظومة القديمة إلى جزء من «المعارضة» تتباهى بإسقاط السّلطة ...ويُستصنع على عجل تاريخ نضالي لرهط من الحمقى والمخنثين يُواجهون به رجالا هشم الاستبداد شبابهم وعنفوانهم وانتصرت لهم «الثّورة» التي استنصرتهم ... سلطة من إفرازات «الثّورة» ولكنّها بغير سلطان، فلا تنفذ قرارا ولا تُطاعُ ولا تصنع خبرا ولا تردع متهتكا... «ثورة» يُهانُ فيها من دفع من أجلها ثمنا ويُكرمُ فيها التفهاءُ والفارغون.

لقد صُدم الكثيرون وهم يرون مسار الثورة يتحول إلى «خارطة طريق» ودرب الجماهير يتحول إلى «طاولة حوار» وهتافات الشّعب تتحول إلى «رباع راعٍ» واستحقاقات الثورة تتحول إلى «توافق»... ثم تتالى الصّدمات: خروج المُنتَخبين من الحكم/ محاكمة شباب الثّورة/ عودة مفردة «الإرهاب»/ مراجعة التعيينات / ضبط مواقيت المساجد... وهي إجراءات تعود بالتّونسيين إلى ذاكرة الخيبة حين ارتدّ صاحب البيان عن بيانه.

# 14 جانفي 2011
# الجيش يحمي الثورة

**قدّم الجيش التونسي نموذجا للجيوش العربية في حمايته للثورة والانتقال الديمقراطي وجنّب تونس كوارث وقعت فيها دول عربية أخرى .**

عبدالعزيز الرباعي
«ناشط سياسي ونقابي»
azizrebai@yahoo.fr

# الثورات العربية.. المخاض المسير.. والولادة المستعصية

(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) سورة النور

سبع سنوات مرّت على اندلاع الشّرارة الأولى للثّورات العربيّة.. كان ذلك بمدينة سيدي بوزيد تلك المدينة الدّاخلية الهادئة المنسيّة بالوسط الغربي للبلاد التونسيّة... وبما أنّ الأوضاع كانت في كلّ الأقطار العربيّة على غاية من الاحتقان ولا تنتظر إلاّ مجرد شرارة حتّى تلتهب، فقد كان إقدام ذلك الشّاب التّونسي «محمد البوعزيزي» على إحراق نفسه تعبيرا صارخا وترجمة عنيفة لما كان يحسّ به المواطن العربي وخاصّة الشّباب من احتراق داخلي وموت بطيء نتيجة انسداد كلّ الأفق وطغيان القمع والظّلم والقهر...

لقد أهلك القحط السّياسي والاجتماعي والتّصحّر الثّقافي والدّيني والانبتات الحضاري والاستبداد العسكري والأمني وتغلغل الفساد في كلّ مفاصل الدّولة وضيق سبل العيش وانتشار الفقر والبطالة كلّ طموح وكلّ أمل في غد أفضل لجموع المواطنين العرب الذين تأكّدوا من زيف كلّ ما كان يروّج لهم من أكاذيب عن الازدهار والتّطور والنّمو والعزّة والمنعة ...

لقد كان المواطن العربي يحسّ وهو يعيش في وطنه وفوق أرض أجداده أنّه غريب .. أنّه محتقر.. أنّه لا قدر ولا كرامة ولا حقوق له... يرى بأمّ عينه خيرات بلاده تنهب وهو لا يجد رغيف الخبز... أصحاب السّمو والفخامة والنّيافة والسّيادة يرفلون في النّعيم وهو لا يجد الخبز الحافي؟؟؟

الأجنبي في بلاده يعامل معاملة الأسياد.. وهو يعامل معاملة الحيوان.. لا حقّ له في التّعبير.. لا حقّ له في المشاركة السّياسية .. لا حقّ له في العمل.. لا حقّ له في الاحتجاج.. لا حقّ له في الكرامة... من يجلسون على الكراسي أسود عليه فقط ولكنّهم خرافا وديعة أمام من ينهب خيرات الأمّة ويغتصب الأرض وينتهك العرض .. عقود طويلة مرّت من الانتظار والألم والهزائم المتكرّرة ولا شيء يتحقّق رغم الصبر الطّويل والتّضحيات العظيمة سوى الخيبات المتكرّرة..

> **اعتقد الجميع أنّ المواطن العربي فقد كل قدرة على ردّة الفعل وأنّه تحوّل إلى جسد بلا روح ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان وبان أنّ تحت الرّماد لهيب.**

كان الجميع يعتقد أنّ المواطن العربي قد فقد كلّ قدرة على ردّة الفعل وأنّه تحوّل إلى جسد بلا روح وأنّه لا شيء يمكن أن يؤثّر فيه ويستنهضه... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان وبان أنّ تحت الرّماد لهيب .. لقد انتقلت شرارة الثّورة من تونس.. إلى ليبيا .. إلى مصر.. إلى اليمن.. إلى سوريا... وبدأت العروش تهتزّ تحت أقدام الطّواغيت وبدأت تتهاوى الواحد تلو الآخر كأوراق الخريف الذّابلة في مشهد أثار الرّعب في قلوب كلّ الأنظمة الاستبداديّة التي كانت تستعبد النّاس وتسومهم سوء العذاب في المنطقة...

وبدأ التآمر على تلك الثّورات المباركة من طرف الجميع .. من الدّاخل والخارج.. من الأنظمة الاستبداديّة المتخلّفة المتسلّطة التي أحسّت بالخطر ممّا يحدث ومن القوى الخارجيّة التي علمت أن مصالحها ستضرب وأنّها لن تستطيع الاستمرار في نهب تلك المناطق إن هي فقدت عملاءها وأعوانها وأصدقاءها الذين كانوا يقدمون لها كلّ ما يطلب منهم من خدمات دون تردّد أو تفكير لأنّ همهم فقط الحفاظ على مواقعهم ومكاسبهم الشّخصية....

وحتّى ذلك التّعاطف أو التّنويه الذي حظيت به تلك الثّورات في البداية من بعض القوى الإقليميّة المعروفة بهيمنتها على المنطقة العربيّة وتقسيمها لكعكة خيراته فيما بينها، فإنّه لم يدم طويلا ليكتشف المواطن العربي كيف أنّ تلك القوى سارعت للانقلاب عليه لتتحالف من جديد مع قوى الاستبداد والفساد في الدّاخل ممّن ثار المواطن العربي ضدّهم.. لتعيدهم إلى دفّة الحكم إمّا عبر الانقلابات العسكريّة .. أو عبر التّدخل العسكري المباشر.. أو عبر هرسلة قوى الثّورة وتشويه صورتها في عيون المواطنين وخنقها اقتصاديّا وسياسيّا إلخ...

سبع سنوات صعبة .. مليئة بالمرارات ..والإخفاقات.. والتّعثر .. والتّضحيات.. قدم خلالها المواطن العربي تضحيات جسيمة وهائلة من لحمه ودمه .. دمار وخراب وحروب .. وتفجيرات .. وترهيب.. وتخريب.. وهدر للمقدّرات... البعض اعتبر أنّ هذه الثّورات قد وئدت في المهد.. البعض الآخر قلب الصّورة ووجه أصابع

الاتهام نحو الثّورات متّهما إيّاها بأنّها لم تكن سوى مؤامرات خارجيّة ضدّ دول المنطقة وأنظمتها الوطنيّة وشعوبها التي كانت تنعم بالرّفاهية والاستقرار والحرّية من أجل إعادة احتلالها... لكنّ البعض مازال يؤمن أنّ هذه الثّورات لا يمكن أن تكون مجرّد وقت مستقطع في تاريخ المنطقة وشعوبها يعود بعدها كلّ شيء إلى الوضع الذي كان عليه وكأنّ شيئا لم يكن وأنّه مهما كان حجم التّآمر الدّاخلي والخارجي ضدّ هذه المنطقة وضدّ المواطن العربي التّواق إلى الحرّية والكرامة والعدل والإنصاف .. توقه للحياة.. وأنّه لابدّ لأن يكون لكل هذه التّضحيات التي قدمت نتائج تساوي ما تمّ تقديمه .. وأنّه لا مجال إلى العودة إلى الوراء...

**هذا هو واقع الحال بعد مرور سبع سنوات على اندلاع تلك الثّورات.. البعض يعتقد أنّه انتصر.. والبعض يعتقد أنّه لم ينهزم**

هذا هو واقع الحال بعد مرور سبع سنوات على اندلاع تلك الثّورات.. البعض يعتقد أنّه انتصر.. والبعض يعتقد أنّه لم ينهزم..

الوضع في المنطقة مازال يشوبه الكثير من الغموض.. لكن الأكيد أنّ السنوات القليلة القادمة ستكون حبلى بالأحداث والتّطورات التي ستذهل الكثيرين . لأنّ كل المؤشرات تقول أنّ الوضع في المنطقة برمتها مازال غير مستقر وأنّ الهزّات الارتداديّة لكلّ ما حدث ويحدث من صراع وانكشاف الكثير من الحقائق وسقوط العديد من الأقنعة .. وتقلّص الخيارات أمام المواطن العربي الذي أصبح مخيّرا بين القبول بالذّل والخنوع والقهر أو الموت والتّشريد كما رأينا ذلك في العديد من دول المنطقة سيكون له ما بعده ... الأكيد أنّ كل تلك التّضحيات لن تذهب هدرا.. فقد عرف المواطن العربي بداية طريق الخلاص... ولن يتراجع...

# كاريكاتير

## الثورة ... والثورة المضادة

بسام المقربي
«صحفي و باحث في العلوم الجغرافية»
bassemagrebi@yahoo.fr

# ويل للنخب من شر قد اقترب

استفاق العالم عامّة والعالم العربي خاصّة ذات 17 ديسمبر 2010 على خبر شابّ تونسي يحرق نفسه احتجاجا على الأوضاع الاجتماعيّة التي يعيشها. تطوّر المشهد من مجرّد احتجاجات مطالبة بالكرامة والتّشغيل إلى المطالبة بإصلاح سياسي جذري وبإسقاط النّظام الشّمولي الحاكم، وفعلا تمّ إسقاط النّظام الحاكم بتونس يوم 14 جانفي 2011 لتضرب الاحتجاجات بقيّة الدّول العربيّة كمصر وليبيا واليمن وسوريا. تلك الثّورات التي أسقطت مجموعة من الأنظمة أصطلح على تسميتها بالرّبيع العربي كان الهدف منها حسب الشّعوب إسقاط الأنظمة الاستبداديّة وتحسّس الخطى نحو إصلاح سياسي واجتماعي شامل كان فيما مضى متّسم بالفقر والهشاشة وتفشّي البطالة وتردّي الأوضاع المعيشيّة...

لكن وبعد مضي 7 سنوات من الرّبيع العربي لم تستطع النّخب السّياسية والفكريّة القيام بأيّة إصلاحات تذكر سوى البحث عن تموقعات داخل المشهد السّياسي والاجتماعي وبذلك تحوّلت وظيفتها من الباحث عن حلول للخروج من الأزمة إلى جزء منها. لذلك يجمع أغلب المتابعين والملاحظين تقريبا على أن السّبع سنوات التي مرّت على الرّبيع العربي كانت عجافا شدادا لم ترتق الى ما كانت تطمح إليه الشّعوب على كافّة الأصعدة السّياسية والفكريّة

والاجتماعية وذلك لعجز النّخبة عن إستيعاب الأوضاع.

- **سياسيا:** نادت الشّعوب بحقّها في الحرّية وإرساء نظام سياسي قوامه الدّيمقراطية والتّعددية وحقوق الإنسان، ولكنّ شيئا من ذلك لم يتحقّق، فالصّراع الدّاخلي القبلي والعرقي الذي تغذّيه القوى الإقليمية والدّوليّة خوفا على مصالحها الاستراتيجيّة ترجمه انقلاب العسكر في مصر على شرعيّة انتخابات حرّة ونزيهة، انقلاب كانت تدعمه وتغذيه نخبة سياسيّة وفكريّة، ثمّ انقلاب آخر دمويّ على شرعيّة يمنيّة تقودها جماعات سياسيّة طائفيّة تحارب باسم العقيدة الدّينية، كذلك الحال في ليبيا والشّام أين حوّلت النّخبة وجهة الثّورة من سلميّة تنادي بإسقاط الدّكتاتور والكرامة إلى حرب يتطاحن فيها الشّعب الثّائر فيما بينه. أدى ذلك إلى تبخّر أحلام الثّائرين وبقاء طموح المستبدّين، فحضرت كلّ فصول الاستبداد وغاب ربيع الحرّية.

> **بعد مضي 7 سنوات من الرّبيع العربي لم تستطع النّخب السّياسية والفكريّة القيام بأيّة إصلاحات تذكر سوى البحث عن تموقعات داخل المشهد السّياسي والاجتماعي.**

- **فكريا:** يقول المفكّر السّلوفيني سلافوي جيجك «نخبة وظيفتها التّزييف الإيديولوجي الوقح لمعارك النّاس». لم تحترم أغلب النّخب السّياسية والطّبقات المفكرة في دول الرّبيع العربي طموحات شعوبها، بل العكس ما وقع، حيث وجدت الشّعوب أنفسها أكثر نضجا من تلك الطّبقات. كلّ الشعوب الثّائرة التي تصدّت للرّشاشات ومدافع الدّبابات بالورود في الشّوارع أثناء الاحتجاجات، كانت تطمح إلى حياة فكريّة سليمة تتماهى وهويّة الشّعوب العربيّة المسلمة، نابذة للتّغريب دون التّخلي عن مبدأ المعاصرة والانفتاح على الآخر. إلاّ أنّ النّخبة غيّبت كلّ الموروث الأدبي والتّاريخي والثّقافي للشّعوب الثّائرة بل سخّرته لإثبات أنّ الدّيمقراطية لا تصلح للمجتمعات العربيّة وأنّ هذه المجتمعات لا تُساس إلّا بالهراوات واستشهدوا ببعض الأدبيات من قبيل «إنّي أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها...» في دلالة على بطش الحجّاج مع أهل العراق، في محاولة لإقناع الجماهير الغاضبة أنّها كقطعان الغنم لا تقاد إلاّ بالحديد والنّار. حتّى النّخبة الدّينية تمّ الزّج بها في الصّراع طوعا أو كرها وشرّع بعضها للانقلابات العسكريّة. في حين تمّ تغييب كلّ الموروث الفكري الإصلاحي العربي عبر التّاريخ والدّاعي إلى نبذ الاستبداد وإصلاح البلاد والعباد وتطوير التعليم والصنائع وإصلاح الضّمائر والطبائع، بل وقامت النّخبة بتوريد نماذج دخيلة على الثّقافات السّائدة كاليساريّة الماركسيّة والعلمانيّة، بل حتّى التّيارات الإسلاميّة في مجملها حاولت عديد المرّات استيراد نماذج إسلاميّة من خارج ثقافتها الدّينية المحلّية كالنّموذج التّركي والخليجي وقد تناسوا أنّ التّجارب لا تُستنسخ ومن العبث إسقاطها على الشّعوب. فذهبت النّخب الفكريّة والإعلاميّة إلى طرح مواضيع تتعلّق بحقوق المثليّين، حرّية الضّمير، حرّية التّعبير عن طريق التّعري، بثّ أفلام ومسرحيّات تنتهك حرمات ومقدّسات الشّعوب وتعمّد استفزاز مشاعرها، حيث ظهرت دعوات مثلا لضرورة دفع المصلّين لفواتير كهرباء وماء المساجد وكأنّ النخب عالجت جميع مشاكل الشّعوب إلاّ فواتير المساجد. كما دعا البعض إلى محاربة التّعليم الدّيني بدعوى محاربة التّطرف فظهر «الإرهاب الدّيني» لمحاربة «الإرهاب العلماني» والعكس بالعكس.

> **لعبت النّخبة المثقّفة النّافذة سياسيّا والنّخب النّقابية دورا هامّا في تردّي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة وذلك خدمة لأجندا «جرحى الأنظمة السّابقة».**

لقد التجأت النخبة التي فاجأتها الثّورة إلى صناعة «عدو همجي» يلبسونه تارة ثوب العلمنة المتطرّفة لاختبار ردّ فعل الإسلاميّين وتارة ثوب الإرهابي المتطرّف لاختبار صبر بعض العلمانيّين وبذلك حاصرت النّخبة أبناء الشّعب الواحد في دائرتين، إمّا علمانيّا «كافرا» وإمّا إسلاميّا «داعشيّا» حيث ساهمت في تقسيم أبناء الوطن الواحد وقوّضت السّلم الأهلي عوض الدّعوة للتّفاهم والحوار ونشر ثقافة التّعايش.

برز ذلك جليّا وبوضوح في اعتصام ميدان التّحرير الذي قادته مجموعة مساندة لشرعيّة الصّندوق من جهة وحركة «تمرّد» المساندة لإسقاط النّظام الحاكم ما بعد مبارك في مصر من جهة أخرى. أمّا في تونس فقد ترجمه اعتصام «باردو» بين مجموعة مساندة لحكم التّرويكا ومجموعة اعتصام «الرّحيل» التي تنادي بالإطاحة بالثّلاثي الحاكم. وصل الأمر بالنّخبة التّونسية القول «نحن (أي العلمانيّون) في يوم 6 أوت 2013 ميلادي وهم (أي الإسلاميّون) في يوم 28 رمضان 1434 هجري» وهو ما يفسّر دور النّخب في تغذية الصّراع الإيديولوجي بين أبناء الوطن الواحد. كلّ ذلك وقع لإلهاء الشّعوب الثّائرة وصرفها عن هدفها الحقيقي المتمثّل في إرساء أنظمة ديمقراطيّة تعدّدية قوامها الحرّية وحقوق الشّعوب في تقرير المصير وإرساء العدالة الاجتماعيّة.

- **اقتصاديا واجتماعيا:** كانت أحلام الشّعوب الثّائرة في مناطق الرّبيع العربي هي التّشغيل والكرامة وتحسين مستوى الاقتصاد ومن ثمّ تحسين الأوضاع المعيشيّة للسّكان حيث رفعت عديد الشّعارات المنادية بالتّشغيل ومحاربة الفساد والعطالة والفقر من قبيل «التّشغيل استحقاق يا عصابة السُراق» أو «حسني بيه يا حسني بيه... كيلو اللّحمة بـ 100 جنيه». إلاّ أنّ النّتائج وبعد سقوط الأنظمة السّياسية كانت عكسيّة حيث لعبت النّخبة المثقّفة النّافذة سياسيّا والنّخب النّقابية دورا هامّا في تردّي الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة وذلك خدمة لأجندا «جرحى الأنظمة السّابقة» التي ثارت عليها الشّعوب. فتمّت عرقلة عديد المشاريع الصّناعية الكبرى التي من شأنها خلق مواطن الشّغل كمشروع قناة السّويس في مصر ومشروع تزويد بعض الدّول الاوروبية بالطّاقة الشّمسية الذي كان سيقام في الصّحراء التّونسية، كذلك مشروع ميناء مضيق باب المندب بوابة البحر الأحمر في اليمن. في الأثناء، أُطلق العنان للتّهريب والسّوق الموازية إضافة إلى كثرة الإضرابات العمّالية العشوائيّة التي ساهمت في غلق عديد المؤسّسات المنتجة، فارتفعت البطالة وارتفع التّوريد وانخفض التّصدير، فانزلقت العملات الماليّة إلى أدنى مستوياتها وارتفعت الأسعار وانتشر الفقر خاصّة في مناطق التّوتر كاليمن وسوريا أين يجتمع الفقر مع الآلة الحربيّة فظهرت الكوليرا وحمّى الملاريا والحمّى الصّفراء والمجاعات.

ففي مصر مرّت نسبة البطالة قبل اندلاع الثّورة سنة 2010 من 10.8 % إلى 12.6 % سنة 2017. أمّا في تونس فقد مرّت من 13.7 إلى 15.3 %، ومن 17.14 إلى 19.22 % في ليبيا، ومن 17.85 إلى 50 % في اليمن ومن 8 إلى 53 % في سوريا خلال نفس الفترة.

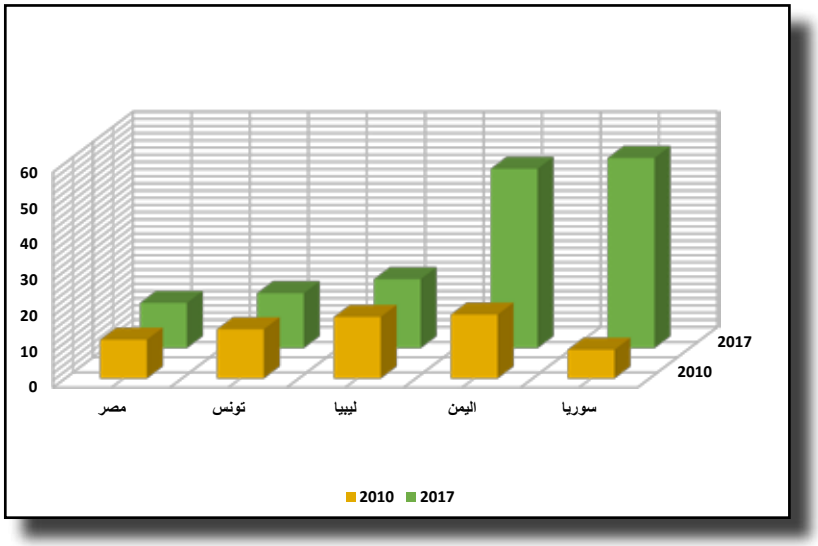


**ارتفاع نسب البطالة في دول الربيع العربي قبل وبعد الأحداث**

> **من خلال الرّبيع العربي أثبتت النّخبة العربيّة أنّها مجرّد كتلة من التّناقضات المثيرة للرّيبة والجدل.**

لقد لعبت النّخب السّياسية والفكريّة والنّقابية في دول الرّبيع العربي دورا غير دورها الطّبيعي. فعوض تهدئة الأوضاع السّياسية والاجتماعيّة ومحاولة تحسينها، سعت إلى تأجيجها إعلاميّا وميدانيّا، وبدلا من السّعي إلى إرساء نظام ديمقراطي صلب، سعت لتقويض العمليّة السّياسية بدعوة الجيوش للانقلاب على السّلط المنتخبة شعبيّا.

إنّ النّخبة العربيّة اليوم ومن خلال الرّبيع العربي أثبتت أنّها مجرّد كتلة من التّناقضات المثيرة للرّيبة والجدل فنجدها تمجّد ديمقراطيّة الغرب وتحرّض على الانقلابات في دولها أو أنّها تطالب بديمقراطيّة «عرجاء» تضمن حقوق فئة دون أخرى، وهو ما ينمّ عن وجود أزمة سياسيّة ثقافيّة اجتماعيّة تاريخيّة بالغة التّعقيد في بنية النّخبة التي تأبى التّطور والتّأقلم مع الوضع الجديد نتيجة التّغريب الذي تعرّضت له منذ فترات الاستعمار وما بعد الاستقلال مع الأنظمة الاستبداديّة المتعاقبة، ذلك التّغريب انتزع منها روح الهويّة وقتل فيها كلّ إبداع فكري وسياسي جعلها تحيد عن هدفها الأصلي. حتّى النّخب الوطنيّة الصّادقة إمّا تمّ استبعادها بخيار من نخب التّضليل عبر تشويهها إعلاميّا وبالمال الفاسد، وإمّا اختارت الابتعاد والجلوس على الرّبوة من تلقاء نفسها لتلوث المناخ النّخبوي وهو ما يطرح جدلا واسعا حول دور النّخب تجاه شعوبها «أذئب أنت أم راع»؟

www.alislahmag.com

# الربيع العربي في ذكراه المتجددة

د.رياض الشعيبي
«كاتب تونسي وباحث جامعي في الفكر السياسي»
chaibiriadh2016@gmail.com

في الذكرى السابعة للربيع العربي يبدو المشهد العام في تونس وفي المنطقة العربية غارقا في فوضى الأحداث المتلاطمة على شطآن صخريّة تتمنّع أمام هدير الأمواج الثّائرة. فبغض النّظر عن الفوارق الطّبيعية بين مختلف المسارات، تتأكّد اليوم حدّة المعركة بين قوى التّغيير وقوى المحافظة، التّغيير السّياسي والاجتماعي والثّقافي بما يرتقي به إلى مستوى التّغيير الاستراتيجي، وقوى المحافظة التي تتعلّق بشعار الاستقرار وتتقوّى بلوبيّات المصالح التقليديّة وشبكة العلاقات الدّاخليّة والخارجيّة التي تشكّلت طوال تاريخ دولة الاستقلال.

ففي تونس مثلا وبعد سلسلة من التّحولات في المشهد السّياسي استقرت في النّهاية عند تناقض جوهري بين قوى اجتماعيّة وسياسيّة تعتبر الانتقال الديمقراطي أداة للتّغيير المجتمعي، يجعل من تحرير الإرادات وترسيخ الدّيمقراطية السّياسية مدخلا لإعادة التّفكير في منوال التّنمية وترتيب الأولويّات الوطنيّة وفقا للمتطلّبات

الاجتماعيّة وطموح الأجيال الصّاعدة. وبين تيّار سياسي حريص على إنجاز تعاقدات أفقيّة وتسويات تتعايش فيها المصالح وتتوافق فيما بينها. ودون البناء على أرضيّة سياسيّة تستند لشرعيّة دستوريّة أو لمفهوم واضح عن الحقّ والعدل والصّلاح، فإنّ براغماتيّة هذا المسار تجعل مخرجاته أهمّ من المبادئ التي يمكن أن يقوم عليها أيّ مشروع سياسي، بل وفي واقع الحال يتقدّم هذا التّوافق على حساب ليس فقط مفاهيم الحكم العادل والرّشيد ولكن بتغذية الفساد السّياسي وتكريس الانفصال بين مجتمع الحاكمين ومجتمع المحكومين.

**"تحوّلت الثّورة من قطيعة سياسيّة واقتصاديّة مع القديم إلى انتقال ديمقراطي يستصحب القديم لإعادة بناء الحديث."**

ورغم أنه بات واضحا تداخل المصالح الداخلية والخارجية التي تتصدّر الثّورة المضادّة، إلاّ أنّ العلاقة الإشكاليّة بين الدّاخلي والخارجي لازالت مستحكمة. إذ يبدو من وجهة نظر أولى أنّ القوى الخارجيّة كانت مستعدّة للقبول بالتّغيير الذي رفعت شعاره الشّعوب التي ملأت الشّوارع، لكنّ أصوات الاستغاثة التي تعالت من حناجر بعض قوى المحافظة والجمود هيّأت الأرضيّة لاستدعاء التّدخل الخارجي بل والتّرحيب به. البعض يفسّر ذلك بالاختراق الفكري والثّقافي الذي يشقّ النّخبة، والبعض الآخر بتداخل المصالح الاقتصاديّة بين البورجوازيّة التّقليديّة ورأس المال الدّولي، وآخرين بالتّوزيع الدّولي لمناطق النّفوذ وتثبيت خرائط الهيمنة على المنطقة. من زاوية أخرى فإنّ دولنا التي لم تكن بمنأى عن التّدخل الخارجي منذ القرن التّاسع عشر، لا يمكن أن نتخيّل تغييرا تعيشه بهذا الحجم دون الاصطدام بإرادة خارجيّة لوضع اليد على هذا التّغيير ومحاولة التّحكم في وجهته. لذلك كان اعتصام القصبة واحد ينادي برفع الوصاية الخارجيّة على الثّورة التونسيّة ويرفع شعار الاستقلال الثّاني في إشارة واضحة لاستعادة القرار الوطني التّونسي.

وبمتابعة تطور مسار الأحداث منذ الشّرارة الأولى لاندلاع الثّورة التّونسيّة، نتوقف عند محطات مهمّة لهذا التّدخل الخارجي الموجّه للمسار السّياسي في البلاد. ولأنّ المجال لا يسمح بالتّفاصيل نشير فقط إلى ثلاث حقبات: - دعم المسار التّأسيسي والتّأثير فيه من خلال تأطير العمل التّشريعي واحتواء حكومة التّرويكا الأولى، - التّدخل في الأزمة السّياسية صيف 2013 وقيادة المفاوضات بين النّهضة والنّداء وفرض خيار حكومة التّكنوقراط، -وأخيرا جاءت ترتيبات ما بعد انتخابات 2014 لاستكمال اتفاقات اجتماع باريس بين الشّيخين وما تلاه من اجتماعات تنسيقيّة.

لقد لعبت السّفارات أدوارا مباشرة في هذا التّدخل كتلك التي مهّدت للاستعمار الفرنسي مع «أحمد باي» ثم مع «الصّادق باي» ومن تلاهما وصولا إلى «لمين باي». كما كان لمراكز الدّراسات تأثير

> "لم يصطدم مسار بناء النّظام السّياسي الجديد فقط بغياب الرّؤية والمنهج ولكن أيضا بالفشل في زرع الأمل لجيل ربّما لم يعد باستطاعته أن يفجّر ثورة ثانية"

هام في توجيه صانع القرار الدولي حيث تحوّلت الثّورة من قطيعة سياسيّة واقتصاديّة مع القديم إلى انتقال ديمقراطي يستصحب القديم لإعادة بناء الحديث.

ولأنّ التقدير السياسي عقلاني بطبعه وبعيد عن الانفعالات الشخصية أو أي مشاعر سلبيّة تؤشّر على نوع من الحقد الايديولوجي، فقد كان السّؤال الرّئيسي: هل يمكن بالفعل أن يساهم القديم في بناء شيء جديد مع احتفاظه بخصائصه القديمة ؟

في الحقيقة حجم الاحباط والشّعور بالفشل الذي يسري في الواقع كفيل لوحده بالاجابة عن هذا السؤال. فمسار بناء النّظام السّياسي الجديد لم يصطدم فقط بغياب الرّؤية والمنهج ولكن أيضا بالفشل في زرع الأمل لجيل ربّما لم يعد باستطاعته أن يفجّر ثورة ثانية، لكنّه صنع نموذجا للتّغيير ستستلهم منه أجيال بدأت تبلغ مرحلة الشّباب بعد أن عاشت الثّورة السّابقة من أمام الشّاشات بالنّظر لصغر سنّها انذاك.

# ترنيمات

## ...وتستعاد البوصله

سالم المساهلي
«شاعر وأديب»
salemsehli@yahoo.fr

ماذا تبقّى من خطى للمرحله؟
يا سادة القول البليغ ..
وقادة الوطن الكئيب..
إلى الرّحاب المذهله !
ما ذا تبقّى للبلاد وللوعود
وللشّعوب المثقله ..
بعتم مسافة حلمها ..
زيتونها ونخيلها وكرومها
أشواقها وشؤونها وشجونها
لم يبق غير جدارها الحرّ الأبيّ
القدس آخر وردة بربيعنا..
القدس آخر شاهد ..

كي لا نموت بلا دليل
في الدّروب المهمله ..!
ماذا تبقّى للشعوب سوى
الجنون مع الجنون ..
على عروش المهلكه .
بالثّورة السّمراء نشفى
من خراب الخائنين
ومن جحيم المهزله ..
وليذهب الغرّ السّفيه
وحارس البلد المباح ..
إلى جحيم المزبله.
ستعود ألوية الكفاح
مع الصّباح..
على الجياد المقبله
وتعود رايات الفتوح
على الجموح ..
وتستعاد البوصله.

النوري الجبالي
«ناشط في المجتمع المدني»
nouri.jeballi@hotmail.com

# الصراع الايديولوجي استمرار للفوضى الخلاقة بوسائل اخرى

من يتأمّل واقع الأمّة الإسلاميّة بعد مرور سبع سنوات من ثورات الرّبيع العربي انطلاقا من أرض الزّيتونة وإطاحتها برؤوس الاستبداد والفساد والعمالة يكتشف استفاقة النّظام العالمي من حالة الصّدمة التي كان يعيشها النّاتجة عن فجائيّة اندلاع الثّورات بالمنطقة وارتداداتها على المستوى الدّولي ليتحرّك للحدّ من الآثار السّلبيّة لهذه الثّورات على مصالحه الاستراتيجيّة والتّخفّي وراء التّصريحات المعدّة للاستهلاك الإعلامي الدّاعمة للدّيمقراطيّات النّاشئة باعتبار أنّ المواقف الحقيقيّة لرموز النّظام العالمي تجاه الثّورات لا تنطلق بناء على مبادئ ولكن بناء على مصلحة تدور وتتغيّر و تتباين من بلد الى بلد آخر، فالولايات المتّحدة الأمريكيّة على حدّ قول المفكر نعوم تشومسكي:«تستعمل كلّ ما في وسعها لمنع ديمقراطيّة حقيقيّة في العالم العربي والسّبب واضح وهو أنّ الغالبيّة العظمى من شعوب المنطقة تعتبر الولايات المتّحدة مصدرا أساسيّا لتهديد مصالحها».

وللمحافظة على المصالح الاستراتيجية لأمريكا وحلفائها وخاصّة محورها الرّئيسي المتمثل في حماية أمن الكيان الصّهيوني والتّسويق للتّطبيع السّياسي والثّقافي والاقتصادي

معه (وما إعلان رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية القدس الشريف عاصمة أبديّة للكيان الصّهيوني ونقل مقرّ سفارة دولته إليها إلاّ دليل على ذلك) إضافة إلى وضع اليد على ثروات ومقدرات الأمّة وإدامة الهيمنة والقيادة الأمريكيّة للعالم، فإنها تستنجد بتنفيذ استراتيجيّة ما يسمّى بالفوضى الخلاّقة كمصطلح اطلقته «كوندا ليزا رايس» منذ سنة 2005 لجعل المجتمع الإسلامي والعربي مختبرا لتجارب خطيرة في تمزيق المجتمعات وتفكيكها وإضعاف عناصر قوّتها ثم إعادة تركيبها طبقا للمصالح الأمريكية الجديدة، هذه الاستراتيجية تتنوّع وتتغيّر وتتشكّل طبقا لخصوصيّات كلّ منطقة في محاولة لتطويع وإرباك أو احتواء الثّورات وجرّها إلى الانحراف عن مسارها الطبيعي والتّاريخي، وبعد أن كان استنبات الفوضى الخلاّقة يتمّ بالتدخّل العسكري المباشر، أُوكلت مهمّة تنفيذ هذه الاستراتيجية الى فاعلين سياسيّين واجتماعيّين وإعلاميّين وحقوقيّين محلّيين بوعي أو بدون وعي، فتجربة الفوضى الخلاّقة MADE IN TUNISIA تميّزت منذ سنة 2011 بتعطيل مؤسّسات الانتاج وقطع الطّرقات وتفجير تسونامي من الإضرابات ومحاولات الانقلاب النّاعم على الإرادة الشّعبيّة وصناديق الاقتراع مرورا بتنفيذ عمليّات الاغتيالات السّياسيّة وصولا الى محاولات تعطيل تصريف المبادئ والقيم ومنظومة الحكم التي انبنى عليها دستور جانفي 2014 والعمل على عدم استكمال بناء المؤسّسات الدّستورية بتعطيل الباب السادس منه خاصّة والمتعلق بممارسة الحكم المحلّي. أمّا تجربة الفوضى الخلاّقة MADE IN LYBIA فقد تميّزت بتأجيج الصّراعات القبليّة والايديولوجيّة والاحتراب الدّاخلي وإضعاف وجود الدّولة أصلا عبر التّرويج مثلا لوجود سوق للعبيد بليبيا. وفي تجربة الفوضى الخلاقة MADE IN EGYPT تميّزت بتنفيذ الانقلاب العسكري وإسقاط الشّرعية الانتخابيّة.

> **تهدف استراتيجيّة «الفوضى الخلاّقة» إلى تمزيق مجتمعاتنا وتفكيكها وإضعاف عناصر قوّتها ثم إعادة تركيبها طبقا للمصالح الأمريكية الجديدة.**

وأمام الفشل المؤقّت لأنموذج الفوضى الخلاّقة بتونس بفضل الحكمة والرّشد والواقعيّة السّياسيّة للشّيخين راشد الغنوشي والباجي قائد السّبسي ونباهة ووعي وذكاء الشّعب التّونسي والحضور الواعي والفعّال للمجتمع المدني ممّا أهل الثورة التونسية باستحقاق بأن تكون الاستثناء العربي حيث رشّحها المفكّر «فوكوياما» للنجاح في تثبيت أركان التّجربة الدّيمقراطية. تتحرّك اليوم دوائر القرار الدّولي والإقليمي لمحاولة حبك خيوط مؤامرة جديدة لإجهاض المسار الانتقالي والارتداد على أهداف الثّورة التّونسية انطلاقا من الخارج عبر اختلاق معركة الطّائفية السّياسية والصّراعات المذهبيّة اللّغوية والدّينية والجهويّة والجنسيّة والإيديولوجيّة والعرقيّة لتكون بالتّالي هذه المعركة استمرارا للفوضى الخلاّقة بوسائل أخرى.

يقول علي شريعتي «اذا أردت أن تخرّب ثورة، فقط اعطها بعدا طائفيّا ودينيّا وستنتهي الى هباء» خيوط تكشف عنها رهان البعض على محاولة فرض نموذج مجتمعي وخطّ سياسي بالقوّة الإعلاميّة وبضغط

> إنّ معركة تكريس قيم الحرّية والعدالة والكرامة واستقلاليّة القرار الوطني لا يمكن كسبها إلاّ في إطار الحوار على قاعدة مشاريع اجتماعيّة وتنمويّة واقتصاديّة.

الشّارع وبالاستثمار في دماء الأبرياء كبديل عن خيار الإرادة الشّعبية المستمدّة من صناديق الاقتراع مع استدعاء خلفيّة الشّحن الطّائفي بأشكاله المذكورة سابقا والاستقطاب الايديولوجي المستمدّة جذورهما من أحياء الأحقاد التّاريخيّة وما ينتج عنه من تبرير لظاهرة التّكفير والإقصاء وما تبيحه من شرعيّة إراقة الدّماء وتفكيك الوحدة المجتمعيّة والتّوافق السّياسي لتمثّل في الحقيقة مظهرا من مظاهر توظيف النّظام الدّولي للاختلافات الايديولوجيّة كأداة لتنفيذ المخطّطات التّقسيميّة للواقع الاجتماعي والسياسي من أجل تعميق الفجوة بين أبناء البلد الواحد والتعبئة النّفسية للحقد والعداوة منعا للتّقارب والوحدة بين أبناء هذا الشّعب ولخلق ذهنية «سايكس بيكو» بنسخة جديدة لا لترسم الحدود الجغرافيّة بين الدّول بل لترسم الحدود بين عواطف وعقول ومشاعر أبناء الشّعب الواحد والقوى السّياسية وقوى المجتمع المدني ومن ثمّ إلهاءهم عن الاهتمام بمعركة تكريس قيم الحرّية والعدالة والكرامة واستقلاليّة القرار الوطني والسّيادة على ثروات هذا البلد وخيراته وتفويت الفرصة على الشّعب بأن يرتقي الى مستوى الإنتاج المعنوي والفكري والعلمي والثقافي الذي يمكّنه بدوره من تحقيق الانتاج الاقتصادي واستقلاليّة القرار السّياسي.

هذه المعركة لا يمكن كسبها إلاّ في إطار الحوار على قاعدة مشاريع اجتماعيّة وتنمويّة واقتصاديّة لا على قاعدة الأطروحات الايديولوجيّة وفي إطار التّعايش المشترك وتعزيز التّوافق الوطني الواسع، فالقضية عندنا كما يقول مالك بن نبي «منوطة أوّلا بتخلّصنا ممّا يستغلّه الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته من حيث نشعر أو لا نشعر وما دام له سلطة خفيّة على توجيه الطّاقة الاجتماعيّة عندنا وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال ولا ما في حرّية مهما كانت الأوضاع السّياسية».

حتّى لا ننسى

# 14 جانفي 2011
## كش... مات

**تاريخ لا ينسى وإن حاولوا طمسه واحتقار مخرجاته... فيه ولد شعب من جديد رغم أوجاع الولادة التي امتدت منذ 17 ديسمبر 2010. فيه اكتشف المغرمون بلعبة الشطرنج أن محاصرة «الملك» ممكنة من دون «فيل» أو «حصان» أو «قلعة» وأن الجنود بأمكانها أن تجعل النتيجة ...«كش...مات»**

الأستاذ سامي الشعري
«باحث - رئيس جمعية مداد»
chaarisami3@gmail.com

# في الثورة معنى

أحببت أن أنبّه أوّلا أنّ ما يمثل أمامكم الآن ليس إلاّ الجزء الأول من مقال حال طوله بينه وبين نشره كاملا. لذلك سوف يقتصر الأمر في هذا الموضع على «عوائق» تدبّر المعنى، وربّما ينشر الباقي (والذي رسم تحت عنوان «في الرّقائق») معالجا بعض مقتضيات استدعاء «المعنى» في/ حول الثورة.

«إنّ الحدث قد يضيء ماضيه الخاصّ، ولكنّه لا يمكن قطعا أن يستخلص منه»

هناك أمر ما مؤرّق، أو هناك حدث، أمر ما وقع ولكن وقوعه كان «واقعة»، وقعا احدث منعطفا ومنعرجا. لم يعد بالإمكان إذا أن «نقابله» كموضوع نقسمه ونؤلف عناصره من جديد، حسب تقدير اعتباطي تظهر فيه تحكمية الذّات دون ضرورة ما تسوق السّياق، دون خيط ناظم هاد إلى سواء السّبيل. لعلّة ما صار ما وقع حدثا، وهناك أمر ما جعله متميّزا لا يستخلص ممّا سبق لأنّه لم يكن ليتوقع (إلاّ في أذهان الايديولوجيّين الذين تبدو الأحداث أمامهم شفّافة يقرؤونها طولا وعرضا وعمقا دون حائل). بين الشّتات الذي لا ضرورة له، وبين ضرورة التّعقل التي تنظّم هذا «الشّاووش» يكمن تدخّلنا دائما. لن ندّعي إذا أنّنا سنكتشف ما غاب عن الآخرين لحدّ الآن، وأنّ التّاريخ انتظرنا لنقدّم له هذا المختفي ونجلّيه

أخيرا لمن يخطب ودّ الحقيقة.

أمّا وأنّ قدر الله نفّذ ( أمر ربّما قد نستطيع بيانه في آخر التحليل)، ولم يعد لنا من كبير همّ -إلاّ ما يقوم به بعض قطّاع الطّرق- بتثبيت أركان، بتمكين الثّورة. يبقى للثّورة ارتداداتها: لقد أريد عمليّا من هذا اللّفظ أن يعبّر عن «ثورة مضادّة» (وما هي بالثّورة بل نكوص عنها)،أو عن فشل محتمل لها، لذلك كان على هذا الذي «في ذاته» أن يصير «بذاته»، أن يعي جدّته ومكمن التّوتر والطّرافة فيه، حتّى لا يندرس في غياهب «المألوف» والخطاب الشّعاراتي الخالي من المضمون. وجب إذا أن يتّخذ هذا «الحدث إحداثيّة لقراءة ما حدث»، لاحقا كان أو سابقا، لأنّ الذي تفعله الثّورة وأحرى بها أن تفعله هو أن ترفع عن «الأعناق أغلالها»، أن نرى بطريقة أخرى، حيث لم يسمح لنا بهذا قبل ذلك.

**إنّ الذي تفعله الثورة وأحرى بها أن تفعله هو أن ترفع عن «الأعناق أغلالها»، أن نرى بطريقة أخرى، حيث لم يسمح لنا بهذا قبل ذلك.**

## في العوائق

هل الثّورة «حدث قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه»؟ لعلّ الاختراق الأهم للثورة كرأسمال رمزي هو إعادة تشكّل «النظّارة»، أي لا فقط لزاوية النّظر بل لإمكانه، أي أن يعاد للنّظر بما هو فهم وتفكّر وتشخيص مقامه. ما زلنا لحدّ الآن من وعي «دودة الأرض» كما يقول هيغل، وعي «الهنا والآن»، الذي لا يحفل إلاّ بالمنفعة والمصلحة، وهو الذي شكّل في رأيي المصدر الأول للإزعاج الذي أصاب الثّورة عبر منعرجاتها وتعرجاتها: « أمّا بداية الثّقافة والخروج على حاليّة الحياة الجوهريّة فإنّما يجب فيهما تحصيل الأوائل والأنظار الكلّية، ومجاهدة الذّات وحدها في الارتفاع إلى فكرة الأمر بالجملة، فلا يقلّل المرء في ترسيخها أو نقضها بالبيّنة، ويتعقّب الفيض المتعيّن والثّري بحسب التّقييدات، فيعلم كيف يأتي فيه قولا فصلا وحكما حاسما» « تناظر ذلك القضاء المجاهدة المتّصلة...في انتزاع البشر من الانغراس في الحسّي والمشترك والفردي، وتصويب أبصارهم قبل النّجوم، وكأنّهم إذ تناسوا الالهي، على وشك التّنعم مثلهم مثل ديدان الأرض بالغبار والماء» «...فالمعنى منغرس على قدر كبير في الأرضي، حتّى أنّه يلزم عين القدر من العنف لكي يرتفع إلى فوق. ويظهر الرّوح على قدر من الفاقة حتى أنّه على ما يبدو لا يتوق بغية ارتوائه-مثله مثل الضّارب في الصّحراء يتوق إلى قطرة ماء-إلاّ إلى الشّعور الخافت بالالهي بصفة عامة، فحيثما تتيسر كفاية الرّوح يقدر عظم ضياعه» (هيغل، فنومينولوجيا الروح، الاستهلال)

إنّ مقام (أو وضع) الحاليّة (أو المباشرتيّة)هو المقام الغليظ من الكينونة والموضوعيّة العارية من كلّ تفكير، والذي يسبق انطولوجيا التّوسيط والتّفكّر. «المباشرتيّة» تبقى دون ما تتّسم به «الحاليّة»من معاندة للمفهوم بل تغييبا للوعي، فهي تتهدّده في كلّ إظهار من إظهاراته حتّى تكاد تحبس أنفاسه وتذهب بما يسعى فيه من تعين، راجعة به القهقرى إلى أدنى أدراج الكينونة.

إن الذي لا تفور فيه دماء الثّورة لا يمكن أن يكون له حدس حولها: نقول ذلك ونحن نقصد:

* أنّ الفوران فعل، حال دائمة وليست عرضيّة

* نحسب أنّ «قول» الثّورة ليس تأملا، ولا هو بالتّمثل، وإنّما هو حدس يقرب من الدّلالة الصّوفية، أي هو الشّهود، بل هو الحلول ليصير «هو هو»، فليس الأمر بالموضوع البرّاني الذي يمكن تفكيكه وتركيبه وإنّما هو انغراس فيه إلى درجة أن يصير الحال هو العقل والعاقل والمعقول، وذلك يتطلّب فعل «المتعبّد» الذي لا يكاد يرى أيّ فارق بينه وبين الذي يناجيه، أي فاصل (وجودي/ نظراني) يفصل بينهما.

> **إنّ الثّورة تحتاج إلى صيغة ما مطابقة لمواجهة نفسها عندما ترتئي قبالتها بعضا من مآزقها.**

إنّ الثّورة تحتاج إلى صيغة ما مطابقة لمواجهة نفسها عندما ترتئي قبالتها بعضا من مآزقها، يعنى أنّ هناك أمرا ما يدفعها إلى أن تراجع ما رسمتها قدما في مسارها. إنّ ذلك قد يعتبر نوعا من تعطيل «مسار الثّورة»، بل حتّى نوعا من اللّغط «الفاضي» الذي يصنّف في الأخير في خانة «الثّورة المضادّة». لكن لأنّ المأزق حقيقي، ولأنّ التفكّر فيه ضروري، فإنّ تعمّد إهماله والإصرار على ذلك، بل واستبعاد المؤهّلين لذلك بات يشتغل –موضوعيّا هذه المرّة- ضمن خطاب مقابل لـ «مزطولي» الثّورة، هذا النّمط من الوعي الذي كان له وجاهة ما في لحظة الانبجاس والانبثاق و«الثّوران»، ولكنّه صار وعيا مغتربا لا يكاد يعي ما يفعل، يصاب بالتّشظي والشّقاق الدّاخلي، بل قد تنجرّ عنه أشكال من الانفلات والنّزق تسرب في ظلال المدّ الثّوري أو باسمه، ولقد حدث ذلك فعلا مع بعض من قطاعات شبابنا الذين انخرطوا في الدّواعش أو في سلوكيّات منحرفة (زطلة، حرقة...). لا بدّ إذا إن يجد هذا الانثناء وجاهة ما باعتباره لا مقابلا أو معطلا، بل من مقتضيات الثّورة أو أحد مراحلها أو تحقّقها. لعلّ ذلك بعضا من مقتضيات أن تصير الثّورة معنى لا مجرّد حراك (ستختزل فيما بعد في كونها انتفاضة أو انقلابا..). لم تفتقد الثّورة في هذه الحالة مشروعيّة وقوعها، بل مشروعيّة تعقّلها أي حضورها كمعنى، ومواصلة هذا الحضور في الذاكرة.

إن المتحذلقين، «المستثمرون في الثّورة» (بالمعنى المغالط للّفظ، وذلك دائما كان دورهم، بما أنّ الذي يتحدّث عن الثّورة وتوزيعها هم الذين يقتلون شروط إمكان إنتاجها) يريدون من الثّورة أن تكون «هاجسا دائما»(حيث لا يمكن أن يكون فعل الثّورة إلاّ حينيّا)، يريدونه سهم تقويض دائم، أي فعل رفع لكلّ مشروعيّة، أي في الأخير فعل فوضى وانفلات، ويكون الرّهان من كلّ ذلك –حتّى ضمن خطاب الثّورة كما سنبيّنه- هو إعادة استدعاء الاستبداد عينه.

إن هذا الذي دُعي من طرف البعض (التّيار الماوي) بالثّورة الثّقافية لم يكن في الأصل سوى فعل سلطويّ لاحق –ولكنّه في الحقيقة مشرّع ومبرّر-، يكون أداة رمزيّة لإخضاع المثقّفين وإنتاج أنساق نظريّة وتثبيت رؤى وتحييد أخرى بالعنف، حيث يصير المجال لا مجال الحجّة والإقناع العقليين، وإنّما هو مجال الغلبة

والانتصار والإخضاع. إنّهم لا يتصوّرون الأمر، إلاّ هكذا حيث لا مقام للآخر إلاّ باعتباره وسيلة لا غاية، وعندها تتّخذ الثّورة هنا –وهنا المفارقة التي تحيل إلى ضرورة الوعي بالمغالطة التي تسكنها- دلالة معاكسة لماهيتها بما هي فعل حرّ وطوعي ومحرّر ومقاوم لهيمنة السّلطة. إنّ «الثّورة» بهذا المعنى المغالط يستحوذ هو ذاته على آخر قلاع الثّورة وشرط إمكانها وهو قدرتنا على قول لا، على الفعل ضدّ شتّى أشكال سحق الإنسان.

عندما تلتهم الثّورة أحوازها، نكون أمام مظهر مزر لهذا الذي أنتج وسوّق وحكي عنه باعتباره «ثورة»، ولعلّ من الغريب –الذي ارتفعت عنه بعد الآن غرابته-إنّ كل الانقلابات التي شهدتها المنطقة وغيرها كانت تكني نفسها ثورة، لإضفاء الشّرعية على فعل يراد له أن تمتد بعض نتائجه في الزّمن. لعلها من المفارقات إذا أن يؤول أحد –بل أعلاها اندفاعا-أشكال التّغيير الاجتماعي إلى عكسه، بل إلى نفيه، بل إلى نفي إمكانيّة مقابله وحتّى إمكان التّفكير فيه. ذلك يعني أنّنا، في المجال الإنساني البين-ذاتي، ليس هناك منطقة للفعل تكون نهائيّة، نقطة «ارخميدس» ثابتة يمكن أن نؤسّس عليها نظريّا ومن ثمّ أخلاقيّا لأنساقنا المعياريّة، بل الكلّ قابل أن يطوّع، قابل لأن يوظّف وأن يوجّه، وعند ذلك نقف على مشارف نتيجتين ممكنتين: إمّا أن ننفي انطولوجيا أي إمكانية لأي قيمة في ذاتها، ونصير إلى عدميّة قاحلة تكون في الحقيقة تزكية لهذا الذي يجري على ساحة الفعل السّياسي الاجتماعي، هو عالم «كلّ شيء ممكن» (الأساس النّظري لكلّ نظم كلياني كما تقول حنّا ارندت)، أو أن نعيد النّظر في هذا الاله الرّمزي، في هذا الصّنم اللّغوي، في هذه الكلمة التي اتخذت ككلمة سحريّة، -تكشف عن دلالتها بذاتها ولذاتها دون توسّط، وكأنّها ستحيل تحليليا إلى قيم الحقيقة والحقّ والعدل والفضيلة-، وعندها يكون العمل الثّوري الأبرز والأولى في هذه اللّحظة هو استخلاص ما هو ثوري حقّا فيما يتداول –إعلاميّا/ سياسيّا-باعتباره «ثورة»، وتخليص هذه «النّواة الماهويّة» –بالتّعبير الفنومينولوجي- من تعالقتها التي شابتها وشوّهتها. عندها، كما قلنا، وكما هو ديدن كلّ فعل نظري بعد أيّ ثورة (لنتذكّر الثّورة الكوبرنيكيّة) هو عمل نقدي ، يكون في الآن نفسه «تأسيسا وتقويضا».

> **عندما تلتهم الثّورة أحوازها، نكون أمام مظهر مزر لهذا الذي أنتج وسوّق وحكي عنه باعتباره «ثورة».**

حين تفقّر أدوات التّمعن والتّفكر، ويتمّ الاستحواذ عليها من طرف السّفسطائيين، يكون أمامنا آنذاك جهد مضاعف: لا فقط اظهار هذا المختفي (هذا الذي تمّ إخفاؤه)، بل وكذلك استعادة الحقّ في القول، أي أن نستعيد التّعقل والرّوية بما هو أعدل الأشياء توزّعا بين النّاس.عندها، يمكن أن نرى بطريقة مختلفة، وذلك بعض من معاني الخروج من كهف الاستبداد «إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون». عندما نولّي وجهنا شطر القيمة والمعنى، عندها نسكن أرضا غير الأرض، وعندها يكون مدار الصراع أمرا نرتضيه ولا يرتضى لنا –بل يراد دائما التلفت عنه-، وهو الفكرة والمعنى والمضمون.

# أضواء الفطر

رفيق الشاهد
«مهندس»
chahedmeteo@gmail.com

لم أكن يوما كاتبا محترفا ولم أتعود الكتابة حسب الطلب، بل تعودت الانصياع لخاطري تحت وطأة ضغط ما حولي ألتقط ما يفيض من فوهة القِدر الذي يغلي، فأرتب البخار والهباء المتناثر في تمتمات حسب الطّعم والرّائحة. فإن وعيت متى وكيف بدأت قلّما عرفت كيف ومتى أنتهي، ولا يكون ذلك إلاّ بعد قراءات ومراجعات عدّة. ولا شيء يشجّعني على نشر بنات أفكاري إلاّ براءتها والصّدق الذي فيها.

اليوم أجدني، أستجيب لدعوة رئيس التّحرير للمشاركة في إحياء ذكرى ثورة 14 جانفي بتمتمات حول الثّورات العربيّة أو ما يسمّى لدى البعض بالرّبيع العربي. وظننتني غير مبال بما اقترح عليّ لمّا كنت بصدد لملمة أفكاري لإعداد مساهمتي بالطّريقة التي تعوّدت عليها و«الرّتوش» المطوّل الذي يلي حتّى يستقيم بنيان النّص بالقدر الكافي وأجدَ نفسي فيما انتهيت إليه. ولكن صدى كلمة «ثورة» تردّد ولزمني وحرّك الأعماق الدّفينة فيّ وخلخل الجبال الثّقيلة على نفسي، فدفعني إلى الكتابة في الموضوع الذي بين أيديكم.

تجري الأحداث بسرعة مفرطة، سرعة الدّمار الذي ينسف كلّ الجهود وكلّ الآمال. ولكن ماذا بعد سكون البراكين، إلاّ تتململ؟ وهذا القِدر الذي انسدّ صمّام أمانه قنبلة موقوتة مآلها الانفجار إذا لم يتمّ تنفيسه. هل حملت كلمة الثّورة، بما حصل إلى غاية هذا اليوم، المعنى الذي جعلت له ؟ هل حافظت هذه الكلمة على المعنى المتعارف عليه قبل 14 جانفي 2011 أم أنّها أصبحت تحمل دلالات أخرى كان أجدر بنا بيانها واستبيانها.؟

**"بعد سبع سنوات من اشتعال فتيل الثّورات العربيّة، هل من عاقل يوقظ الغافلين فيرشدهم أنّ الثّورات في العقول ثورات فكر وعلم"**

لا أظن حقّا أن القارئ الكريم لم يتفطّن كم تعقّدت المسائل وتداخلت المصالح وكم تلاعب الخسيس بصدق الفاضل ولا كم ضاع الصّدق في ثنايا المكر والكذب. على هذا القدر وأكثر، كرهت أن يحكمني صادق نبيل رهيف الحسّ لا يكذب، ولو كان بيدي، لاخترته قويّا شديد البأس لا تأخذه رأفة في حقّ البلد. أانطلت على القارئ الفاضل خدعة هذا الرّبيع العربي؟ هل انقلبت الفصول حتّى نعيش الرّبيع في كبد الخريف اليائس المصفرّ والبائس المغبر؟ هذه الصورة السّائدة المخيفة قد تنطبق على دول أكثر من أخرى ولكنّها تنطبق جيّدا على الوطن العربي باعتباره كيانا واحدا يتأثّر ويتداعى بكامله بالسّهر والحمى لاعتلال أيّ جزء منه. ألا يكفيه عبء قضيّة القدس جرحه النّازف منذ عقود طويلة اختلط فيها الأسى بالزّغاريد؟

تونس فاجأت الجميع وألهمت صادقي العزم حين بقيت ثورتها نبراس أمل رغم صعوبة الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة. «حرّية، عدالة وكرامة وطنيّة» شعار صدح من تونس منذ 14 جانفي 2011 ليتردّد صداه هنا وهناك وترتعد له أركان السّلطة بكلّ البلدان العربيّة. لكنّ الثّمن أصبح باهظا أكثر من كلّ التّوقعات حتّى دخل الشّك. هل يستحقّ هذا كلّ ذلك، فتتصدع وتتهاوى أركان الدّولة؟

الحرّية وحدها تستحقّ كلّ التّضحيات التي دفعتها الشّعوب لدحر الاستعمار والرّقي إلى الاستقلال وأبرزها المليون شهيد في الثورة الجزائريّة. أمّا الكرامة تستحق أكثر من ذلك بكثير، فهي أغلى ثمنا والدّليل ضياعها بل غيابها بكلّ البلاد العربيّة ولا يعادلها ريالات ولا بترو دولارات. والدّيمقراطية، هذا النّجم الساطع الذي يرنو إليه الجميع لم يدفع ثمن إبعادها إلاّ الحكّام ولكن من جيوب الفقراء والمحتاجين.

بعد سبع سنوات من اشتعال فتيل الثّورات العربيّة، هل من عاقل يوقظ الغافلين فيرشدهم أنّ الثّورات في العقول ثورات فكر وعلم. هل من ثائر على جهل بعلم وعلى فقر بعمل أعنّاه على حرثه؟ هل من ثائر على ظالم شددنا أزره بشدّة الحجّة والبرهان حتّى يستقيم عدله؟ كل الثّورات تستحقّ اسمها وأسماها

> هذه فوضى ولكنّها توحي في النّهاية بحراك داخل هذا القطر العربي وأنّه دليل حياة لا موت ودليل وعي لا تأتي من وراءه إلاّ تلك الكرامة الجوهرة المفقودة

العفويّة رادعة للظّلم وناشدة للكرامة. وثورة بلادي، ألم تبدأ عفويّة لنصرة مظلوم ودرء إهانة ؟ أم أنّ التّونسي تعوّد تشغيل أضواء الخطر على لسان الكاتب والمفكر توفيق بن بريك، أي تعوّد تشغيل غمازات السّيارة الأربع لا لإسعاف مريض ولا لنقل حامل في حالة وضع، بل فقط للوقوف في مفترق الطّرق لاقتناء علبة سجائر.

هذه الصّورة المقتبسة حقّا تناسب التّونسي قبل وبعد الثّورة ولكن لا يمكنها أن تنسينا شهداء هذه الثّورة ولا وكم على قارعة الطّريق استباح جاهل شرف عالم جليل. ولا ضحايا الإرهاب ولا الخسائر الأخرى التي تكبّدها كلّ التّونسيين جراء طمع الانتهازيّين والمهرّبين وتجّار الحروب إذا ما نظرنا إلى ما حصل بالعراق ويحصل بسوريا واليمن وليبيا .

كلّ ثورات بلادي بدأت عفويّة وتستحق اسمها. ولكنّها انتهت إلى تبديل مواقع والكلّ يهان في إنسانيته. هذه فوضى ولكنّها ألا توحي في النّهاية بحراك داخل هذا القطر العربي وأنّه دليل حياة لا موت ودليل وعي لا تأتي من ورائه إلاّ تلك الكرامة الجوهرة المفقودة؟

الثّورة لا تستحق اسمها إلاّ لما يكون هدفها الوحيد المنشود « الإنسان»، وشرط أن لا يسكب عصير الكرامة شرابا يُسْكِر المراهقين عطشى السّلطة والتّسلط.

# كتب تتحدث عن «الثورة»

## (9)
## «سرديّة الثورة: الفرص المهدورة والمواطنة المتعثرة»
## بقلم : الأستاذ محمد القوماني

## (10)
## «التجربة التونسية:النموذج والظلال»
## بقلم : د.محرز الدريسي

## (21)
## «حوارات و مقالات في قضايا الثورة والمستقبل و الوسطية و الارهاب»
## المؤلف: د.حسن بن حسن

د. أنيس الرزقي
«أستاذ بجامعة قرطاج - تونس»
anis.rezguii@gmail

# أنت و كأنها لم تأت

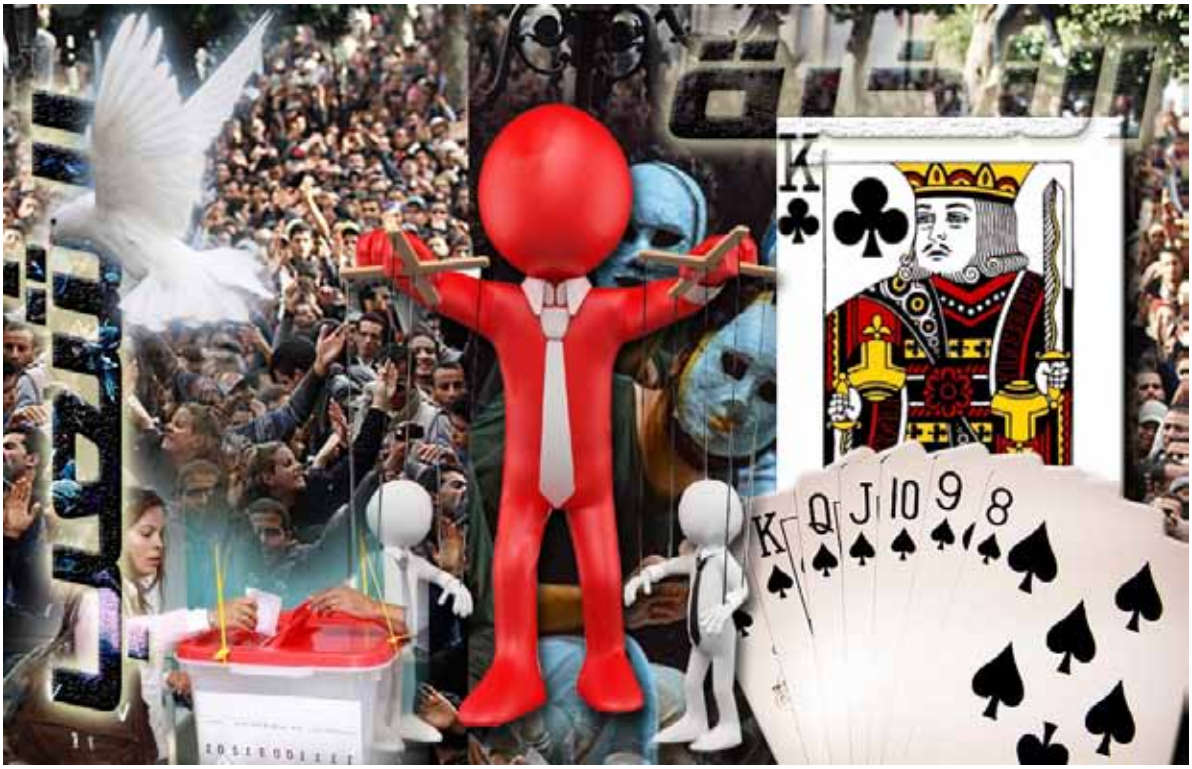

كانت الحرّية والدّيمقراطيّة حلمنا الأبرز والأجمل منذ كنّا مراهقين. وكانت الأجيال السابقة لنا تحلم مثلنا بالحرّية التي طال إنتظارها. وأخيرا انطلقت الثّورة ذات صباح 17 ديسمبر 2010 حين إنتفض أهالينا في سيدي بوزيد من جرّاء سوء المعاملة والإحتقار الذين كانا يمثّلان عقيدة الأمن التّونسي أنذاك. أحرق الشّاب البوعزيزي نفسه أمام الولاية في تحدٍّ صارخ للموت وفي مشهد مؤلم وكأنّ الشّهيد يقول أموت حرقا ولا أقبل ظلمكم وإهاناتكم بعد اليوم !

كانت القطرة التي أفاضت الكأس، كأس الإستبداد والتّهميش لعقود، فخرج الشّباب بصدور عارية أمام جحافل الأمن. لم تعد تخيفهم نيرانهم، فدفعوا بحياتهم الغالية من أجل أن تكفّ مهزلة الحزب الواحد والرجل الواحد والرجل المعجزة، مهزلة التّنمية التي صدعوا بها آذاننا في عهد المخلوع، بالرّغم أنّها كانت تنمية غريزيّة جهويّة ومتخلّفة من دون أيّة رؤية وطنيّة واستراتيجيّة وكأنها تواصل لرؤية إستعماريّة ! فقد طالت التنمية المزعومة بصفة إستثنائيّة وغير عادلة الجهات السّاحلية حيث

مسقط رأس الدّكتاتور فزادت الغبن والفرقة في نفوس التّونسيين حتّى أنّ بعض أهالينا كانوا يستحون من ذكر إنتمائهم الجهوي لغياب التّنمية المجحف في جهتهم! تلك التّنمية التي اعتمدت التّوزيع غير العادل للثّروة والتي غابت عن الجهات الدّاخلية لعقود ممّا أدّى إلى موجات نزوح من الدّاخل إلى السّاحل أضرّت بدورها بالتّنمية وبالإقتصاد الوطني بصفة عامّة! فقد كانت ولا زالت جهات بعينها في الدّاخل التّونسي، محرومة من التنمية إلى درجة أنّ فرص العمل فيها تكاد تقتصر على تزويد الجهات السّاحليّة والعاصمة بالخادمات وحراس المنازل والشّرطة.

**"كان للنّخب الإسلاميّة دور بارز وتاريخي في إرساء النّظام الدّيمقراطي وممارسته على أرض الواقع والتّضحية من أجله قبل وبعد الثّورة"**

هرب المخلوع عشية يوم 14 جانفي 2011 بعد أقلّ من شهر من إندلاع الثّورة، فكانت لحظة فارقة ومعبّرة بأتمّ معنى الكلمة. فقد عجّ شارع الحبيب بورقيبة بالمتظاهرين الذين تجمهروا أمام وزارة الدّاخلية وردّدوا العبارة السّحرية «Dégage» أي إرحل أيّها النّظام، أيها الإستبداد، أيها الفساد. ألهمت عبارة «Dégage» شعوب العالم فكانت رمز من رموز الثّورة فقد استعملها أشقّاؤنا المصريين فأجبروا «مبارك» على الرّحيل هو الآخر.

لقد امتدت موجة الثّورة التّونسية لتشمل ليبيا ومصر وسوريا واليمن، تماهت البدايات واختلفت المآلات. إذ يمكن إعتبار أنّنا في تونس الأوفر حظّا من بين أشقائنا الثّوار العرب، فقد حقّقت الثّورة التّونسية برغم الدّاء والأعداء بعض المكاسب المهمّة. إذ لا يمكن أن ننكر أن منسوب الحرّية في تونس بات يضاهي البلدان الدّيمقراطية بل ربّما أكثر حينما يتعلّق الأمر ببعض المواضيع المحرّمة عالميّا! لقد تمكّن الشّعب التّونسي، ولله الحمد، وعلى رأسه النّخب الوطنّية والديمقراطية من بناء أسس النّظام الدّيمقراطي والتي تتمثّل في دستور حرّ وديمقراطي ينظّم الحياة السّياسية وفي إرساء مؤسّسات دستوريّة ترعى العمليّة الإنتخابيّة. ونجح في تحقيق أوّل إنتخابات حرّة و نزيهة في تاريخه وكرّرها مرّتين. تجدر الإشارة هنا، وعلى عكس ما يُروّج له دائما داخليّا وخارجيّا، إلى أنّ النّخب الإسلاميّة، والتي إكتوت بنار السّجون والتّهجير أكثر من غيرها خلال العقود الثلاثة الماضية،كان لها دور بارز وتاريخي في إرساء النّظام الدّيمقراطي وممارسته على أرض الواقع والتّضحية من أجله قبل وبعد الثّورة. وقد كان خروج حكومة السّيد على العريض ذات الغالبيّة الإسلاميّة من الحكم قبل نهاية مدّة حكمها والقبول بحكومة وحدة وطنيّة من أبرز ملامح بناء الدّيمقراطية في تونس.

## النخب التونسية و الديمقراطية:

لا شك أن البناء الديمقراطي بمعنى بناء المؤسّسات التي ترعى العمليّة الدّيمقراطيّة مثل البرلمان والهيئة

> نجح الشّعب التّونسي ونخبه السّياسية في اختبار البناء الدّيمقراطي، إلاّ أنّهما لم يحقّقا نفس التّقدم في مسألة الممارسة الديمقراطية.

الإنتخابيّة والمحكمة الدّستورية وهيئة إعلامية هي مسألة أساسيّة في التّحول الدّيمقراطي للشّعوب، فلا يمكن أن يكون هناك نظام ديمقراطي بدون برلمان منتخب بصفة شفافّة ونزيهة مثلا! ولكنّ الدّيمقراطية أيضا ممارسة، تمارسها النّخب السّياسية والمثقّفة كما يمارسها عامّة الشّعب، وبالرّغم من أنّنا نعتبر أنّ الشّعب التّونسي ونخبه السّياسية نجحا معا في اختبار البناء الدّيمقراطي، إلاّ أنّهما لم يحقّقا نفس التّقدم في مسألة الممارسة الدّيمقراطية. في الواقع تعتبر مسألة الممارسة الدّيمقراطية مسألة أكثر تعقيدا من مسألة البناء الدّيمقراطي وهي في اعتقادنا تمثّل التّحدي الأبرز للشّعوب حديثة العهد بالدّيمقراطية وإنّ عدم التّقدم فيها قد يؤدّي، لا سمح الله، إلى انتكاسة وربّما إلى انهيار عمليّة التّحول الدّيمقراطي برمتها. والتّاريخ يعجّ بالأمثلة، فالثّورة الفرنسيّة انتكست عدّة مرّات ولم يستقر النّظام الدّيمقراطي فيها إلاّ بعد مرور مئة سنة تقريبا!

لقد سقط العديد من النّخب التّونسية في اختبار الممارسة الدّيمقراطية عندما رفضوا بصفة تكاد تكون معلنة نتائج أوّل إنتخابات برلمانيّة حقيقيّة في تونس. فلقد رأينا على سبيل المثال لا الحصر شخصيّات سياسيّة بارزة في المشهد السّياسي ترفض التّحالف مع الإسلاميّين الفائزين في انتخابات اكتوبر 2011 بالرّغم من هشاشة الوضع العام في البلد ! وقد قبلت، نفس الشّخصيات، من قبل العمل مع بقايا النّظام -حكومة محمد الغنوشي- إبّان الثّورة بتعلّة تجنّب الفوضى، وساعدت بذلك النّظام على لملمة نفسه بعد هزّة الثّورة !

كما تعاملت القوى النّقابية أيضا بسلبيّة مع أوّل إفرازات الدّيمقراطية في تونس فكثّفت من الإحتجاجات والإضرابات والمطالب المجحفة، حتّى أنّ الدكتور المرزوقي وهو أول رئيس منتخب، طلب من النّقابيين ما سمّاه آنذاك «هدنة نقابيّة» لمدّة سنة حتّى يتسنّى للحكومة أن تفهم دواليب الدّولة، خاصّة وأن المسؤولين الذين جاؤوا عبر صندوق الإقتراع كانوا مبعدين عن الحكم وعن الإدارة لعقود وبالتالي كانت تنقصهم الخبرة، وخاصة أيضا وأن الدولة العميقة أي الإدارة كانت موالية للإستبداد وجزءا لا يتجزأ منه. و لكن وبالرّغم من كلّ هذه الظروف الصّعبة لم نر، في عهد الحكومة المنتخبة الأولى في تاريخنا، أيّ شكل من أشكال التّفهم والتّريث من قبل المسؤولين النّقابيين والحال أنّهم كانوا يتفهّمون الأوضاع الإقتصاديّة جيدا في عهد الإستبداد!

أمّا تعامل الإعلام مع أوّل نسمات الحرّية فقد فاق أكثر التّوقعات تشاؤما، إذ استغلت معظم وسائل الإعلام مساحات الحرّية الهائلة التي ركّزتها أول حكومة منتخبة، لشنّ شتّى أنواع التّهجم والتّهكم على

هذه الحكومة وعلى رموزها وعلى الثّورة بصفة عامّة. إلى أن وصل الحدّ ببعض الإعلاميين إلى تلفيق أقوال مزوّرة لرئاسة الجمهوريّة وفبركة حوارات صحفيّة مع إرهابيّين مفتعلين، كلّ ذلك كان يصبّ في إتجاه واحد ألا وهو تقويض المسار الدّيمقراطي بإسقاط أوّل حكومة منتخبة!

> العديد من التّونسيين، من الطّبقتين المتوسّطة والميسورة، لم تكن تعنيهم بصفة جوهريّة مسألة الحرّيات أو مسألة التّحول الدّيمقراطي

لم تمثّل النّخب الفكريّة إستثناءً، فقد سقط الكثير من المفكّرين في أتون من التّساءلات والتفاصيل الفكريّة والفلسفيّة والتّاريخية التي لم تكن تتلاءم في أحسن الأحوال مع اللّحظة السّياسية الحرجة والمفصليّة في تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا! وفي النّهاية لم تكن تلك التّساؤلات تنتصر لا للثّورة ولا للتّحول الدّيمقراطي، فقد انحصر جلها في ما أسميه شخصيّا الباب الأمني «هل يمكننا الوثوق بالإسلاميّين ؟ هل يمكن أن يكون الإسلاميّون ديمقراطيين، ألا يمثّل ذلك تناقضا مع مرجعياتهم الفكريّة ... ؟» !

## التّونسي و الديمقراطية:

نأتي إلى مستوى الأفراد ونتطرق إلى كيفيّة تعامل الفرد التّونسي مع الدّيمقراطية. بالرّغم من الإستبداد السّياسي الذي عاشته البلاد لأكثر من ستّة عقود، إلاّ أنّ الكثير من التّونسيين، وخاصّة منهم أولئك الذين ينتمون إلى الطّبقتين المتوسّطة والميسورة، لم تكن تعنيهم بصفة جوهريّة مسألة الحرّيات أو مسألة التّحول الدّيمقراطي من النّاحيتين السّياسية والإقتصاديّة! بالتّأكيد كان هذا نتيجة مباشرة لعقود من الإنغلاق الثّقافي والفكري جرّاء الإستبداد والقمع السّياسي. إنعكس هذا سلبا على العمليّة الدّيمقراطية فكان جلّ هؤلاء يرون في التّحول الدّيمقراطيي تهديدا مباشرا لما يعتبرونه «إستقرارا» أو لما كانوا يعتقدون أنّها «حرّية». في الواقع إنّ الحرية في نظر الكثير من هؤلاء تقتصر فقط على المعنى الغريزي أي أنّ الحرّية لا تتجاوز عندهم حدود الملبس والمأكل ...! وبالتالي لم يكن معظم المنتمين إلى الطبقتين المتوسّطة والميسورة من الدّاعمين لعمليّة التّحول الديمقراطي وهذا ما يفسر، ربما، نتائج إنتخابات 2014، حيث حقّق المحسوبون على النّظام السّابق فوزا واضحا على المستويين البرلماني والرئاسي.

## رجال الثروة و الثورة

تشهد تونس منذ عهد المخلوع وحتى الآونة الأخيرة إزديادا مطردا لعدد الأثرياء فقد فاق عددهم في تونس عددهم في المغرب وفي الجزائر وفي معظم دول القارة الإفريقية! وتشير بعض الإحصائيات الحديثة إلى أننا نعدّ في تونس أكثر من ستّة آلاف ونصف مليونيرا (مليونير بمعنى ثروة تتجاوز مليون

> تعتبر فئة رجال المال بصفة خاصّة من أخطر الفئات على التّحول الديمقراطي باعتبار ما تملكه من قوّة مالية جبّارة

دولار) وسبعين ميليارديرا (مليارديرا بمعنى ثروة تتجاوز المليار دولار)! وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأثرياء نوعان رجال مال ورجال أعمال، فرجال الأعمال هم الذين جمعوا ثروتهم عبر بعث وإنجاز مشاريع صناعية أو فلاحية كبرى وبالتالي فهم مساهمون بصفة مباشرة في صناعة الثراء في البلد، أمّا رجال المال فهم بصفة عامّة ممّن جمعوا ثرواتهم إمّا بتجارة العقارات أو عبر توكيلات حصريّة لشركات أجنبيّة كبرى حصلوا عليها إمّا بالوراثة أو لتولّيهم مناصب مهمّة في الدّولة! ويمثل هؤلاء النسبة الأعظم من الأثرياء! ومن الطبيعي أن يدعّم هؤلاء الإستبداد، فمصالحهم غير المشروعة تتناقض بصفة واضحة مع كلّ أشكال الشّفافية والحوكمة الرّشيدة والجباية العادلة، باختصار مع أي ممارسة ديمقراطية. وتعتبر هذه الفئة بصفة خاصّة من أخطر الفئات على التّحول الديمقراطي باعتبار ما تملكه من قوّة مالية جبّارة إذ تشير نفس الإحصائيات المذكورة أنّ العديد من الأثرياء تتجاوز ثرواتهم العشرة مليارات من الدولارات أي أكثر من ثلث الدخل القومي الخام التونسي، و لكم أن تتخيّلوا قدرة هؤلاء على التّأثير في المشهد السّياسي!

## فئات اجتماعيّة تعرقل المسار

في ما يلي نذكر بعض الأمثلة من سلوك بعض فئات المجتمع ونحاول أن نبرز نمط جوهري نعتبره أحد أهمّ معوقات التّقدم في عمليّة الممارسة الدّيمقراطية. منوّهين بأنّنا لا نسعى بأيّ شكل من الأشكال إلى التّعميم وأنّنا نكنّ كامل الإحترام والتقدير إلى كافة الأسلاك المهنيّة لمجتمعنا.

(1) تفاقم في الآونة الأخيرة عدد الزّملاء من المعلمين والأساتذة، الذين يعمدون إلى الدّروس الخصوصيّة لزيادة دخلهم ويمارسون من حين إلى آخر أشكالا من الضغط على التلاميذ لجلبهم لتلك الدروس. لا يكترث هؤلاء كثيرا بالحرية ولا يبالون بالتّحول الديمقراطي، وهم من دون أن يكونوا جزء من النظام القديم، فهم ينسجمون معه، أمّا الثورة فلا تلائمهم لأنّها تتسبّب في تغيير التّوازنات والنّفوذ داخل مؤسّساتهم ممّا يتعارض مع مصالحهم.

(2)البعض من زملائنا في التعليم العالي الذين يمارسون، ما نسمّيه، السّياحة العلميّة أو السّمسرة العلميّة. يعمد هؤلاء تحت مسمّيات مثل الشّراكة العلميّة أو البحث العلمي إلى التّقرّب من الجامعيّين الأوروبيّين أو الأمريكيّين بالدّعوات المجانيّة لهم أو بتنظيم مؤتمرات علميّة مشتركة معهم. كل ذلك يتمّ في كثير من الأحيان من دون أي إستعداد أو تجهيز أو ندّية علميّة تمكّن من صياغة برنامج تعاون علمي واضح وجدّي حتّى تتمّ الإستفادة من خبرات هؤلاء الأجانب. ففي أحسن الأحوال يفضي هذا التّعاون

إلى زيارات يقوم بها جامعيّونا إلى الجامعات الأوروبيّة والأمريكية – تدفع تكاليفها من خزينة الدولة من دون أن يستفيد الجامعيون ولا الدولة ولا المجتمع إذ لا يتحقّق فعليّا أيّ إنتقال للعلم وللخبرات «Knowledge transfer».

لا تكترث هذه الفئة بنجاح التحول الديمقراطيّ لأن مخرجاته من شفافيّة ومحاسبة ومساءلة تتنافى بصفة واضحة مع سلوكهم.

(3) لا يختلف إثنان على الفساد الذي يشوب قطاع الصحّة في بلدنا، وبدون أي شكل من أشكال التعميم، فإنّ بعض الإخوة الأطباء الذين يعملون في القطاع العمومي لا يمتنعون عن العمل بشكل مواز في المصحّات الخاصّة وفي إستغلال مناصبهم وصفاتهم في المستشفيات العموميّة لتوجيه الزّبائن للمصحات الخاصة! من دون أي إعتبار لتضارب المصالح الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى تقديرات طبّية مبالغة أوخاطئة وبالتالي أكثر تكلفة وأكثر خطورة على صحة المريض! لا شك أن الممارسة الديمقراطية والتي في جوهرها آلية تكرّس الشّفافية والرّقابة تتناقض بصفة واضحة مع مصلحة هؤلاء الأطباء!

> **"علينا أن ندرك أن الممارسة الديمقراطية هي تحدّ ليس بالهين للمجتمع بأسره وهي عملية معقّدة ومتشعّبة وقد تتطلّب عقودا من الزّمن كي تتحقّق."**

(4) طبعا لا يمثل الإخوة المحامون والقضاة والمهندسون إستثناء لهذه العقلية الإنتهازية والتي يبدو وللأسف الشديد أنها في تفاقم متزايد وأنها لا تستثني أي شريحة من التونسيين.

(5) تعمدنا عدم ذكر الإخوة الأمنيين ليس لإستثنائهم، فالسّلك الأمني أيضا تشوبه سلوكات فاسدة كثيرة، ولكن لأنّ الكثير من الأصدقاء يبالغون في التّركيز على السّلك الأمني ويعتبرون أنّ الأمنيين يمثّلون أهم تهديد للمسار الدّيمقراطي، وفي إعتقادنا فأن الواقع غير ذلك تماما، فكل شرائح المجتمع تشوبها سلوكات تتناقض مع الممارسة الديمقراطية!

## وكأنها لم تأت

هناك إحساس حقيقي عند الكثير من التونسيين بأنّ الدّيمقراطية لم تغيّر أيّ شيء بل ربّما ساء الوضع أكثر ممّا كان عليه قبل الثّورة، حتى أنّه قيل «كنّا أفضل في عهد المخلوع»! وكأنّ الدّيمقراطية لم تأت إلى ربوعنا أو ربّما رحل الدّكتاتور الشّخص وحل مكانه دكتاتور من نوع آخر!

علينا أن ندرك أن الممارسة الديمقراطية تحدٍّ ليس بالهين للمجتمع بأسره وهي عملية معقّدة ومتشعّبة وقد تتطلّب عقودا من الزّمن كي تتحقّق، مثلها مثل مرحلة التّأسيس التي تطلّبت منّا ستّ سنوات بالتّمام والكمال لتتحقّق، ولكننا يجب أن نشخص جيدا وأن نعرف من أين يجب علينا أن نبدأ.

أولا، يجب على النخب التونسية الجادة أن تدرك أنّه لا مجال اليوم للتشنّج ولأي شكل من أشكال التمشي الثوري من جديد، فهل يعقل أن يثور المجتمع على نفسه! فنحن في زمن إصلاحي بامتياز

> يتمثل أهم عائق للممارسة الدّيمقراطية في الطبيعة الإنتهازية التي يتّسم بها الكثير من التونسيين والتي تكرّس النزعة الفرديّة و غياب روح الإنتماء.

وربما هذا ما يفسر التمشي التوافقي الذي تدعمه أهمّ القوى السّياسية في البلاد. فلابدّ للقوى الديمقراطية في البلاد أن تتحلى بالحكمة وبالصبر حتى تتمكن تدريجيا من تكريس الثقة بين كافة الأطراف السّياسية وجذبها إلى مربّع الوطنيّة الخالصة ومن ثمّ المرور بالبلاد من مرحلة التّنافي والتّخوين إلى مرحلة التّنافس والتّدافع البنّاء.

ثانيا، نعتقد أن أهم عوائق الممارسة الدّيمقراطية يتمثل في الطبيعة الإنتهازية التي يتّسم بها الكثير من التونسيين والتي تكرّس النزعة الفرديّة و غياب روح الإنتماء والتي هي في تضادّ تامّ مع مفهوم الدولة و بالتالي في تضادّ مع مفهوم المشاركة في الواجبات وفي الحقوق وفي الحكم. لا شكّ في أنّ هذه العقليّة الإنتهازية هي نتيجة حتمية للإستبداد الذي عاشه التونسيون لعقود، فبصفة آلية يؤدي الإستبداد إلى الخوف و الخوف يؤدي إلى النأي بالنفس وعدم الإنتماء إذ أن الإنتماء ممنوع ! وبالتالي تتعاظم الفردية وتؤدّي في النّهاية إلى عدم الإيمان بالدّولة فيختزل المواطن نفسه إلى متساكن إنتهازي واللّهجة التونسية تعبر عن هذا ببراعة بعبارة «خبزيست».

أخيرا وليس آخرا،عندما نفكر في الإصلاح لا بدّ من أن نبدأ من التّعليم فهو الباب الرّئيسي لأيّ إصلاح في سلوكات المجتمعات على المدى المتوسّط والبعيد. لا شكّ أن موضوع إصلاح التّعليم موضوع حسّاس ومعقد و لكنّنا نلاحظ أنّ المقاربات التي ترد سواء من المختصّين أو من الوزارة تركّز كثيرا على المسائل الفنّية وعلى توفير الإمكانيات. وفي تقديرنا فإنّ المسائل الفنّية ومسألة الإمكانيات مسألتان على أهميتهما ثانويتان، وأن الأمر الأساسي يتمثّل في رؤيتنا ورسالتنا للتعليم ككل. فمن المعلوم أنّ التّعليم في السّتينات والسبعينات كان يفتقر تماما للإمكانيّات وأن الإمكانيات المتاحة اليوم أكثر وأن مناهج اليوم أكثر تطوّرا ولكن مخرجات تعليم السّتينات كانت أفضل من مخرجات اليوم بكثير سواء على المستوى الفنّي أو على مستوى الوعي. وهذا ما يجعلنا نؤمن بأنّ مسألة رؤيتنا المستقبلية لمخرجات مراحلنا التّعليمية التي تتعلّق بمفهومنا للمواطن الصّالح أو المواطن السّوي هي الأهمّ. ولهذا فإنّ العدل من أهم المفاهيم التي يجب العمل على إرسائها في منظومتنا التعليمية.فالتلميذ منذ أيامه الأولى في المدرسة يتأثّر كثيرا بمسألة التّمييز بشتى أنواعه، سواء كان تميزا طبقيّا أو إجتماعيّا أو جهويّا أو جسديّا. هذا التمييز الناتج عن غياب العدل بين التلاميذ يترسّخ في ذهنيتهم العميقة التي تشكل اللبنة الأساسية في علاقتهم بالآخر ويولّد الاحتقان في النفوس فيكون عائقا أمام أي مشروع للعمل الجماعي. لهذا فإذا أردنا أن نزيل الاحتقان من نفوس مواطنينا في الحاضر وفي المستقبل ونكرس اللبنة الأولى للعمل الجماعي الذي هو أحد أهم ركائز مفهوم الدولة الحديثة فمن هنا يجب أن نبدأ!

# حتّى لا ننسى

## 25 جانفي 2011

### الشعب المصري يسير على خطى الشعب التونسي ويفرض على الطاغية حسني مبارك التنحي عن كرسي الحكم

لحظات
خلّدها التاريخ...

# حصاد ضحايا الإستبداد بعد سبع سنوات من ثورة الحرية و الكرامة

محمد هميلي
«ناشط في مجال العدالة الإنتقالية»
hmilimohamed@live.fr

بعد سبع سنوات كاملة من انتصار ارادة الشعب التونسي وهروب الطاغية، من المؤسف أن نطرح هذا السؤال: «متى تنتهي مأساة ومعاناة ضحايا الإستبداد في تونس؟».

شهداء، جرحى ومناضلون سجناء، طيف واسع من الشّعب التّونسي يحتاج إلى عمليّة ترميم كبيرة نظرا للحالة الاجتماعيّة والصّحيّة المزرية التي عاشها ومازال يعيشها حتّى الآن. جراح يستمر نزيفها، حرمان وإقصاء وتهميش، والأدهى من ذلك كلّه أنّهم قد أبتلوا بمحنة قديمة جديدة تتمثّل في سيل جارف من التّشويه والتّقزيم والتّشفي والكراهيّة والإقصاء الممنهج، فلا القضاء أنصفهم ولا العدالة الانتقالية ضمّدت جراحهم أو أعطتهم شيئا من الأمل أو التفاؤل ولا الرأي العـــام أدرك حقيقة مظلوميتهم من فرط القصف الإعلامي الغاشم والكاذب من بعض الجهات الإعلاميّة المؤدلجة والحاقدة على كلّ ضحايا منظومة الإستبداد.

حرب معلنة ضدّ كلّ ما هو حقوق للضّحايا ورفض ممنهج لإدماجهم بالمجتمع كمواطنين وعدم الإعتراف بحقوقهم التي أقرّتها كلّ الأعراف والقوانين الدّولية والمحلّية. مؤامرة تحاك ضدّ كل تطلّعات الضّحايا في غد أسلم وأجمل ووطن يحتضن الجميع في كنف

المساواة في الحقوق والواجبات.

كانت هيئة الحقيقة والكرامة قبلة وملجأ كلّ الضّحايا وعائلاتهم لإيمانهم الكبير بأنّ قانون العدالة الإنتقاليّة قد يكون البلسم الشّافي لكلّ جراحهم والجهة الوحيدة القادرة على الإستجابة لكلّ إنتظاراتهم وتحقيق أحلامهم عبر كشف حقيقة مأساتهم ومعاناتهم وجبر ضررهم مادّيا ومعنويّا ليتمكّنوا من العيش الكريم كغيرهم في ظلّ المساواة والاستقرار والشعور بالإنسانية والمواطنة الكاملة مع محاسبة كلّ من إقترف ضدّهم تلك الإنتهاكات المشينة والجسيمة.

> **"إنّ الوضع السّياسي بالبلاد في ظل تحالفات سياسيّة هجينة قد حكم على مسار العدالة الإنتقاليّة بالضّبابية والإخفاق في تقديم جرعات من الأمل للضّحايا."**

إنّ الوضع السّياسي بالبلاد في ظلّ تحالفات سياسيّة هجينة قد حكم على مسار العدالة الإنتقاليّة بالضّبابية والإخفاق في تقديم جرعات من الأمل للضّحايا. فقد ألقت محاولات إفشال الهيئة والتّقليص من صلوحياتها ومهامها بظلالها على الضّحايا ليعيشوا جولة ثانية من الانتهاكات في ظلّ حكومات ما بعد الثّورة التي لم تضع ملفهم على سلّم أولويّاتها ولم تستطع أن تؤمّن لهم شيئا من حقوقهم وكرامتهم.

إنّ الوضع السّياسي الحالي الهشّ غير قادر على تفعيل الدستور التونسي والمعاهدات الدولية والقوانين الخاصّة بحقوق الانسان والعدالة الانتقالية وهو من ساهم في تعطيل مسار العدالة الإنتقالية وتشويه رسالتها وأهدافها وتيئيس المناضلين والضحايا منها خاصّة بعد أن فشلت هيئة الحقيقة والكرامة في البروز بمظهر الجدّية والقدرة على المسك بزمام أمورها فقد كانت انطلاقة تنفيذ مهمتها الدستورية غير موفقة نتيجة تفاقم مشاكلها الدّاخلية التي عبّرت عنها إنسلاخات بعض الأعضاء والإعفاءات التي طالت آخرين وعدم الرضا بطريقة تسيير رئاسة الهيئة. وقد أدّى ذلك إلى غضب الضحايا الذين أعياهم الانتظار في ظلّ ظروف اجتماعية وصحّية قاسية وحالة نفسية متردية فلم يعد بمقدورهم تحمّل المزيد من المعاناة وانتظار مخرجات أشغال الهيئة غير المقنعة. إن الإختلاف الحاصل بين الضحايا والقائمين على الهيئة مرده الركود والبطء في الأشغال وعدم ملامسة إجراءات واقعية وبناءة كإنصاف الضحايا والتعجيل بترميم حياتهم والحدّ من تعميق جراحهم.

إن عدم وجود إرادة سياسيّة حقيقيّة وطغيان الحسابات والمزايدات هي أهم سبب في تعطيل معالجة ملف الضّحايا في تونس وجعله موضوعا ثانويّا محكوم عليه بالتّأجيل والتّرحيل إلى آجال لا يعلمها وأثناء ذلك يتساقط موتى جدد من الضّحايا حيث لا بواكي لهم إلاّ من عايش محنتهم القاسية.

# حول تقييم منظومة الصفقات العمومية بعد الثورة بتونس

أيمن الديماسي
«إطار سامي بسلك رقابي- مكون وباحث في مجال الصفقات العمومية»
aymen.dimassi@yahoo.fr

## (1) تقديم عام

ترتبط منظومة الصفقات العمومية بالتطورات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تقتضي مواكبة قانونية وترتيبية مستمرة، فكيف تطورت هذه المنظومة خلال السنوات السبع التي مرّت على اندلاع ثورة الحريّة والكرامة؟

أمران أساسيّان صدرا بعد الثورة:

* الأمر عدد 623 لسنة 2011 المؤرخ في 23 ماي 2011 المتعلق بأحكام خاصة لتنظيم الصفقات العمومية وهو أمر لا ينقّح الأمر 3158 لسنة 2002 المتعلق بتنظيم الصفقات العمومية بل يتعلق بأحكام خاصة لتنظيم تلك الصفقات.

* الأمر عدد 515 لسنة 2012 المؤرخ في 2 جوان 2012 المتعلق بتنقيح الأمر عدد 3158 لسنة 2002 المؤرخ في 17 ديسمبر 2002 المتعلق بتنظيم الصفقات العمومية والأمر عدد 623 لسنة 2011 المؤرخ في 23 ماي 2011 المتعلق بأحكام خاصة لتنظيم الصفقات العمومية

## (2) تنقيح الأمر عدد 3158 لسنة 2002 المنظّم للصفقات العمومية

بالنسبة للأمر عدد 623 تم إصداره بعد الثورة لإضفاء مزيد من المرونة على منظومة الصفقات العمومية. وحسب رأينا فإن إخضاع مبالغ هامّة لرقابة لجنة شراءات تتكوّن من أعضاء تابعين للمشتري يزيد من إمكانية ارتكاب أخطاء التصرّف ويحدّ من نجاعة الشراءات العموميّة.

ونعتبر أنّ إيداع العرض الفني والعرض المالي مرّة واحدة واجتماع لجنة فتح الظروف في جلسة واحدة ساهم فعلا في تقليص آجال إبرام الصفقات العمومية وتخفيف العبء على المشتري العمومي الذي أصبح يتولى ترتيب العروض المالية والقيام بعملية الفرز الفني للعرض المالي الأقل ثمنا. إلا أنّه لم يصاحب هذا الإجراء تخفيضا في آجال صلوحية العروض المنصوص عليها بكرّاسات الشروط التي بقيت في حدود 120 يوما. وما يزيد في تعكير الأمور هو التجاء عدّة مشتريين عموميين إلى التمديد في آجال صلوحية العروض.

> **"كانت الحكومات بعد الثورة تبحث عن الإطار الترتيبي الذي يمكّن من الحدّ من إهدار المال العام والسعي لإبرام صفقات تلبي الحاجيات الحقيقية لترشيد النفقات."**

كما أنّ إلغاء العرض الوجوبي على الرأي المسبق للجان الصفقات المختصّة قبل الإعلان عن المنافسة لمشاريع كراسات الشروط إجراء كان يرمي أساسا إلى إضفاء مرونة على الإجراءات وتسريع الآجال وتخفيف الرقابة المسبقة للجان الصفقات. وحسب رأينا فان هذا التمشي قد جانب الصواب نظرا للأهمية البالغة التي تكتسيها كراسات الشروط، ذلك أنّ عرضها على أنظار لجنة الصفقات المختصّة يمكّن التثبت من منهجية الفرز ويقلّل من مخاطر تسرّب الأخطاء.

أمّا بالنسبة للأمر عدد 515 لسنة 2012 المنقح للأمر المنظم للصفقات العمومية فقد تضمّن خاصّة الترفيع في الأسقف المحدّدة لإبرام الصفقات العمومية.وفي تقديرنا كان من الأجدر إصدار أمر يتعلق بتنظيم الاستشارات يتضمن إجراءات واضحة لتسهيل أعمال المتصرف في الصفقات العمومية وتلبية الحاجيات في أفضل الآجال مع تحقيق نجاعة هذه النوعية من الشراءات واحترام مبادئ الصفقات العمومية.

وتبقى الإشكالية الأبرز لدى المشتري العمومي هي كيفية ترجمة الحاجيات إلى خاصيات فنية، حيث أن عديد الشراءات العمومية تتمّ دون دراسة دقيقة للحاجيات ودون تحديد دقيق للخاصيات الفنية ولا للأهداف المرسومة من الاقتناءات المبرمجة بالميزانيّة.

وعليه فان الحكومات بعد الثورة كانت تبحث عن الإطار الترتيبي الذي يمكّن من الحدّ من إهدار المال العام والسعي لإبرام صفقات تلبي الحاجيات الحقيقية لترشيد النفقات، علما وأنّ ترشيد النفقات هو الاستخدام الأمثل للموارد المالية والحدّ من إهدارها بإرساء إجراءات وتقنيات تؤدّي إلى خفض استهلاك الميزانية دون المساس بالأهداف الحقيقية المراد تحقيقها.

> نظرا لكثرة تنقيحات الأمر عدد 3158 لسنة 2002 التي أثّرت سلبا على فهمه من طرف المشتري العمومي، اختارت السلطة التنفيذية إعادة صياغة منظومة الصفقات العمومية

وفي هذا الاطار تم إصدار منشور رئيس الحكومة عدد 42 المؤرخ في 23 جوان 2012 المتعلق باعداد اطار القدرة على الأداء للسياسات العمومية

ويعتبر هذا المنشور مرجعا هاما لتفسير عديد المفاهيم إلى جانب تحديد أدوار ومسؤوليات جميع المتدخلين في إعداد إطار القدرة على الأداء .

وعليه تمّ عرض ميزانيات وزارات الفلاحة، الصّحة، التّربية، التّعليم العالي والبحث العلمي وتكنلوجيا المعلومات والإتصال(قسم التّعليم العالي والبحث العلمي)، التّكوين المهني والتّشغيل بعنوان سنة 2013 على أنظار المجلس التّأسيسي وفق منهجيّة التّصرف حسب الأهداف. ونعتبر هذه الخطوة كانت حجر الأساس في إرساء منظومة التّصرف في الميزانية حسب الأهداف.

بالإضافة إلى أنّ كرّاسات الشّروط الإداريّة والفنّية الخاصّة التي يعدها المشتري العمومي لم ترتق بعد إلى كرّاسات ضمانات إداريّة وفنّية ومالية لإقصاء العارضين الذين لا يلبّون الحاجيّات الحقيقيّة للمشتري العمومي، لذلك تمّ إصدار عدّة كراسات شروط نموذجية في الغرض موجودة على موقع الصفقات العمومية.

وعليه يمكن الجزم بأنّ الإطار الترتيبي للصفقات العمومية بعد الثورة كان يشكو عديد الهنّات التي استوجبت إصدار أمر جديد منظّم للصفقات العموميّة.

### (3) الإطار الترتيبي الحالي للصفقات العمومية:

نظرا لكثرة تنقيحات الأمر عدد 3158 لسنة 2002 التي أثّرت سلبا على فهمه من طرف المشتري العمومي، اختارت السلطة التنفيذية إعادة صياغة منظومة الصفقات العمومية واتخذت اجراءً صائبا تمثّل في إصدار الأمر عدد 1039 لسنة 2014 الذي يلغي ويعوّض جميع النصوص السابقة.

ويمكن تلخيص ايجابيات الأمر عدد 1039 لسنة 2014 في النقاط التالية:

* تقديم تعريفا لعدة مصطلحات هامة تفاديا لسوء الفهم. ولأوّل مرّة يتمّ التفريق بين صفقات إسداء الخدمات وصفقات إعداد الدراسات مثلا.

* تم التنصيص على مبادئ جديدة يبدو أنّها بقيت غامضة، حيث أصبحت الصّفقات العموميّة تخضع إلى قواعد الحوكمة الرّشيدة وتأخذ بعين الاعتبار مقتضيات التّنمية المستدامة. بمعنى أنه يتعيّن إرساء نظام شامل للتّسيير والمراقبة بما يحقّق أفضل حماية وتوازن بين مصالح كلّ الأطراف المعنيّة، دون المساس بقدرة الأجيال القادمة. كما يجب أن تتضمن شروط تنفيذ الصفقة قدر الإمكان جوانب ذات صبغة اجتماعية وبيئية تأخذ بعين الاعتبار أهداف التنمية المستدامة.

> أصبحت الصّفقات العموميّة تخضع إلى قواعد الحوكمة الرّشيدة وتأخذ بعين الاعتبار مقتضيات التّنمية المستدامة.

* وجوبيّة إشهار مشاريع الصفقات المنصوص عليها في المخطط التقديري لإبرام الصفقات بإعلان للعموم وبموقع الصفقات العمومية.

* توضيح طريقة وآجال تقديم الطعون بخصوص كراسات الشروط.

* الغاء الطلبات المعقدة فنيا.

* امكانية تنصيص الصفقة على ثمن مختلط.

* وجوبيّة العمل بالأسعار القابلة للمراجعة بالنسبة للصفقات التي تفوق مدة إنجازها السنة.

* إمكانية التنصيص بكراسات الشروط على مراجعة الأسعار عندما تكون مدة إنجاز الصفقة تتجاوز الستة (6) أشهر بالنسبة لصفقات الأشغال والمواد والتجهيزات المرتبطة أهم مكوناتها بأثمان سريعة التغير.

* تكون الصفقة ذات ثمن وقتي إذا اكتست طلبات الأشغال أو التزود بمواد ذات تقنية جديدة صبغة التأكد المطلق أو تضمنت مخاطر فنية هامة تحتم الشروع في تنفيذ الصفقة في وقت لا يمكن أن تضبط فيه نهائيا كافة الشروط والمقتضيات وتخضع في هذه الحالة الصفقة إلى مراقبة خاصّة.

* لا يتمّ اللّجوء إلى تنظيم طلب عروض على مرحلتين إلا بالنسبة للصفقات التي هي من أنظار اللجنة العليا لمراقبة وتدقيق الصفقات أو اللجنة الوزارية لمراقبة الصفقات واللجنة الداخلية لمراقبة صفقات المنشأة

* إلغاء الاستشارة الموسعة

* تغيير شروط إبرام الصفقات بالتفاوض المباشر

* التنصيص على أسقف جديدة للصفقات المبرمة عن طريق الإجراءات المبسّطة دون التطرق إلى مراحل إبرامها

* التنصيص على اجراءات طلبات العروض على الخط ولأول مرة يتم التنصيص على وثيقة لا مادية في مجال الصفقات العمومية. حيث تقوم لجنة فتح الظروف بفتح العروض الفنية والمالية التي تم قبولها عبر منظومة الشراء العمومي على الخط «تونيبس». ويستخرج محضر فتح العروض آليا من منظومة الشراء العمومي على الخط.

* إضافة نظير من السجل التجاري للوثائق المطلوبة

* إلغاء إعفاء المؤسسات الصغرى والمتوسطة من تقديم الضمان الوقتي.

* ترأس أعمال لجنة فتح الظروض ممثل المشتري العمومي عوضا عن مراقب المصاريف العمومية أو مراقب الدولة.

* توضيح التنصيصات الوجوبية لتقرير تقييم العروض.

> "ساهم الإطار الترتيبي للصفقات العمومية بعد ثورة الحريّة والكرامة في تسريع الإجراءات ونجاعة الشراءات العمومية بالرغم من غموض بعض النقاط."

* التفريق بين طلب عروض غير المثمر وإلغاء طلب العروض.

* إحداث المجلس الوطني للطلب العمومي.

* التأكيد على خضوع كافة المتدخلين مهما كانت صفتهم في إبرام الصفقات العمومية وتنفيذها لحساب المشتري العمومي أو الجهات المكلفة بالمصادقة أو المراقبة إلى الأحكام التشريعية والترتيبية المتعلقة بمقاومة الفساد وتضارب المصالح في الصفقات العمومية.

## (4) خاتمة

يمكن الجزم بأنّ الإطار الترتيبي للصفقات العمومية بعد ثورة الحريّة والكرامة ساهم في تسريع الإجراءات ونجاعة الشراءات العمومية بالرغم من غموض بعض النقاط التي يمكن توضيحها بمنشور تفسيري من رئاسة الحكومة تفاديا لكل لبس. وحسب رأينا فانه كان من الأجدر تجميع الأحكام المنظّمة للشراءات العموميّة بمجلّة يتم إصدارها بمقتضى قانون. وتتضمّن هذه المجلّة خاصّة:

* قانون يتضمّن عقوبات للمتدخلين في منظومة الصفقات العموميّة في صورة مخالفة التشاريع والتراتيب الجاري بها العمل

* أمر منظّم لصفقات المؤسسات والمنشآت العمومية نظرا لخصوصيتها ولدفع عجلة التنمية.

* أمر منظّم لصفقات الدولة.

* أمر منظّم لصفقات الجماعات المحليّة بعد دخول مجلة الجماعات المحلية حيز التنفيذ.

* أمر منظّم للاستشارات.

* قرارات مصادقة على كراسات شروط نموذجية.

# صورة

## خير من ألف تعليق

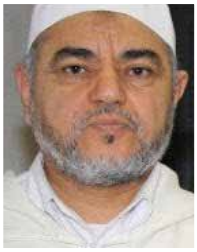

الهادي بريك
«باحث وكاتب - ألمانيا»
brikhedi@yahoo.de

# ماذا خسرت تونس بإعدام الحركة الإسلامية ؟

بمناسبة مرور سبع عجاف على إنطلاق شرارة الرّبيع العربي يطيب لي أن أزفّ شآبيب أمل لا يموت إلى كلّ إنسان حرّ. نخطئ عندما نعدّ أن ثورة 2011 هي الضّربة القاضية بيننا وبين قوى القهر محليّا ودوليّا أو أنّها ستمضي بلا إنتكاسات أو أنّها ستلغي قانون التّدافع الذي به تولد الحركة ثم بالإصطفاء ينتخب الأصلح.

## كيف إستحالت الأقحوانة غثاء أحوى؟

المشاركة الشّعبية في البلاد العربيّة التي جدّت فيها الثّورة لم تتجاوز جزءا واحدا من عشرين جزءا. الدّولة العربيّة دولة قويّة تعتمد الآلة الإرهابيّة وحالة الصّمت المفروض والتّبعيّة الخارجيّة ثم على الإنسحاب الشّعبي. لم تعمّر الخلافة الرّاشدة عدا ثلاثة عقود فحسب ثم هيمن الأمر حتّى إجتراح نظريّة الشّوكة والغلبة والسّيف وإمامة المفضول بما داس على الشّرعية السّياسية. ما زلنا نعيش على وقع مؤتمر «يالطا» الذي نحت إستحقاقات الحلفاء ضدّ المحور. إنهيار المنظومة الإشتراكيّة حطّم التّوازن الدّولي وجعل الولايات المتحدة الإمريكيّة تنفرد بالقيادة. صعود الصّحوة الإسلاميّة إلى سقوف سياسيّة كبرى

سيؤجّج الحرب الباردة السّاخنة. أنّى لربيع عربي أن يزهر وخلاصة وضعنا كما عبّر عنه «برهان غليون» في كتاب له منذ عقود أسماه ـ وأصله بالفرنسيّة ـ : «الدّولة ضدّ الأمّة؟» تظلّ للثّورة العربيّة حسناتها إذ أيقظت الأمل و كسّرت حاجز الخوف وجرأت الإنسان على المقاومة. فتحت الثّورة باب الأمل ولكن طريق العمل طويل وشاقّ.

> "فرادة تونس في التنوع الفكري الذي جعل المنتظم الثقافي والسياسي معا يحتضن الشيوعي والإسلامي والقومي والليبرالي والدستوري وغيرهم"

## تونس المتفردة تؤنس مجددا

تونس بلد صغير وناء. فرادة تونس بإحتضانها أوّل معلم علمي أي الزّيتونة المعمورة ولولا أنّ بورقيبة طمسه لدوّن المؤرّخون اليوم أنّ تونس هبة الزّيتونة. من رحم ذلك الصّرح العلمي الأعظم ولد أبو الفقه السّياسي «عبد الرحمان إبن خلدون» واللّغوي الأكبر «إبن عرفة» والفقيه الأصولي الأعظم «إبن عاشور» وغيرهم كثير. فرادة تونس في التّنوع الفكري الذي جعل المنتظم الثّقافي والسّياسي معا يحتضن الشّيوعي والإسلامي والقومي واللّيبرالي والدّستوري وغيرهم. ذلك التّنوع عمّر نصف قرن كامل دون أن تهرق قطرة دم واحدة عدا مرّة واحدة في الجامعة وللجامعة مناخها الخاصّ. إذا كان لا بدّ من مبدإ المقارنة لطلبة العلم فإنّ عليهم أن ينظّروا ذلك التّنوع التّونسي السّلمي بما عليه أكثر البلدان العربيّة التي ما أثمرت عدا التّطرف الوهابي مدفوع الأجر أو التّكلس الذّهني تديّنا تقليديّا أسطورياً خرافيّا مشكلته الوجوديّة مع الجنّ وليس مع الإنس.

## ثورة تونس تحتاج إلى حركة إسلامية

بمنطق المقارنة نجحت الثّورة التّونسية، ويعزى نجاحها إلى عوامل داخليّة وأخرى خارجيّة. من العوامل الخارجيّة أن تونس نائية عن رحم المعركة السّاخنة وأنّ ثروتها الإقتصاديّة ليس فيها ما يغري. من العوامل الدّاخليّة الحصافة التي عليها النّخبة السّياسية التّونسية بصفة عامّة وليس سرّا أنّ أموالا إماراتيّة تتدفّق بغير حساب على بعض الرّموز وأنّ بعضهم وهو في موقع القرار رفض تلك العروض المغرية . حزب النّهضة له الفضل الأكبر في الحيلولة دون مصير كئيب آلت إليه كلّ بلدان الثّورة تقريبا. أكثر الإرهابيين في البلاد العربيّة هم تونسيّون ولا يغفر لنا هذا كآبة الحقبة النّوفمبريّة.

ما كشفت عنه الثّورة من أزمة قيميّة أخلاقيّة شعبيّة عامّة حتّى إستحالت ظاهرة إجتماعيّة وليست طارئة من الطّارئات. مخّ هذه المقاربة هو أنّ ما تعرّضت له الثّورة التّونسيّة من محاولات دكّ ودحر داخليّة سواء كانت في المنتظم الحزبي والسّياسي والإعلامي والنّقابي أو كانت في العمق الشّعبي إنّما مردّه إلى تلك الأزمة القيميّة الحارقة. مشاكلنا مهما كانت مستعصية نتغلّب عليها بالصّبر والتّكافل وعامل الوقت وتبدّل الموازين من حولنا إلاّ حالقة واحدة وهي حالقة الأزمة القيميّة الأخلاقيّة المستفحلة شعبيّا حتّى أضحى التّونسي ـ إلاّ قليلا ـ هو عنوان الأنانيّة والمادّية والفرديّة لا يبالي بالعدوان والقتل والجريمة وتعاطي المخدرات

> نشأت الثورة فكان عليها أن تبادر إلى معالجات قيمية أخلاقية لا بد منها حتى تشيد البناءات الديمقراطية والإقتصادية على قواعد صلبة

بيعا وإستهلاكا معا وقطع الرّحم والإساءة للجوار والغشّ والخديعة والكذب والنّفاق لأجل بلوغ مأربه المالي وتحقيق ما يصبو إليه . صحيح أنّ البلاد تعرّضت على إمتداد نصف القرن المنصرم وخاصّة في عهد المخلوع بن علي إلى تصحّر قيمي أخلاقيّ لم تشهده بلاد عربيّة وإسلاميّة والأصحّ منه أنّ خطّة تجفيف المنابع آتت أكلها وزيادة وأنّ إستبعاد الحركة الإسلاميّة الإصلاحيّة من السّاحة أسلم النّاس إلى ذئاب شرسة نهمة جعلهم يشرئبون إلى من « يربح المليون» وغيره من البرامج الفضائيّة التّافهة التي عمّقت في النّاس الأنانيّة القاتلة والماديّة المجنونة. كلّ ذلك صحيح ولكن تبيّن كذلك أنّ الهويّة الإسلاميّة بمركبيها الدّيني واللّساني لم تكن عميقة عمقا موضوعيّا مقاصديّا صحيحا إذ كانت هويّة تقي صاحبها الكفر ولكنّها لا تقيه الوقوع في المزالق الكبرى المخلّة بالكرامة والتي لا تصنع حياة بل تصنع موتا روحيّا. بروز التّيار السّلفي المشوّه بكلّ فصائله المدخليّة والجهاديّة لبّس على النّاس تدينهم وجعلهم في حيرة وفي خوف أيضا. في تلك التّضاريس التونسيّة : منابع مجفّفة + سلفيّة مزوّرة ومدفوعة الأجر سعوديّا + إعلام فاسد مفسد يجرئ على الرّذيلة ويرغب في الجريمة + غياب لصوت إسلامي إصلاحي سلمي .. نشأت الثّورة فكان عليها أن تبادر إلى معالجات قيميّة أخلاقيّة لا بدّ منها حتّى تشيد البناءات الديمقراطيّة والإقتصاديّة على قواعد صلبة ولكن إشرأبت الأعناق كلّها تقريبا إلى مواطن النّفوذ أملا في أنّ إمتلاك ناصيته يسير وسريع ومن هناك ينطلق قطار الإصلاح. وكلّما طوينا عاما حتّى إكتشفنا أنّ الذي يليه أشدّ عجفا. صحيح أنّ الله يزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن ولكن الأصحّ منه هو أن إمتلاك ناصية السّلطة لتكون أداة إصلاحيّة أمر يحتاج إلى عقود وفي أثناء ذلك ينشأ النّاشئ في الأسرة والفضائيّة والمدرسة والمعهد والكلّية والإدارة والشّارع على قيم أخلاقيّة فاسدة تصنع منه وحشا كاسرا وذئبا نهما

## لماذا تحتاج ثورتنا إلى حركة إسلامية ؟

حزب النّهضة لم يعد حركة إسلاميّة ليس بالمعنى العقدي أو الفكري أو الدّيني، لا مؤسّسة ولا أفرادا ولكن بمعنى الإصلاح القيمي والمعالجة الأخلاقيّة التي كانت تمارسها قبل عقود والتي أثبتت بالتّجربة التاريخيّة المحقّقة نجاعتها في لجم المدّ الشّيوعي الماركسي الذي كان يهيمن على السّاحة الفكريّة والثّقافية والنّخبة كما ساهم في لجم المدّ الأسطوري الخرافي تديّنا تقليديّا مشكلته مع الأولياء الصّالحين وليس مع الفقراء والمحتاجين.

حزب النهضة إختار طريقا آخر وهو الطريق الأصح رغم أنّ الفراغ الذي تركه خلفه فراغ رهيب. ليس بوسع الدّولة برموزها القديمة حيال الملف الدّيني أن تغذّي الثّورة بالوازع الأخلاقي الذي يعمل على تخفيض

معدّلات العنوسة والطّلاق وترذيل الإنجاب والشّذوذ الجنسي والقتل والإغتصاب وتعاطي المخدّرات جهارا نهارا في المدارس الإبتدائية. الدولة الآن ليست في حرب ضدّ التّدين ولكنّها لا ترشده وهو في حاجة إلى مشروع ترشيدي كبير تجهز له مؤسّسات ومعاهد وإطارات وميزانيّات. الشعب نفسه إنزلق في غالبيّة كبيرة منه إلى تلك الأزمة القيميّة الأخلاقيّة الحالقة إذ لم تعد الأسرة هي الصّانع المهمّ في حياة الإنسان ولا المدرسة التي أفلتت من سلطان المعلم.

> الإصلاح عمل جامع والإصلاح الجامع لا بد له من أسّ قيمي أخلاقي لا تتولاه الأحزاب ولا حتى الدولة بل يتولاه المجتمع

## نحو حركة إسلامية جديدة

الشّوط السّياسي الدّيمقراطي حقّق خطوات ناجحة إلاّ أنّنا أوتينا من الجبهة الدّاخلية التي لا يبنى أيّ مشروع في الحياة إلاّ على أساسها المتين. نحو حركة إسلاميّة وسطيّة معتدلة متوازنة فكرا بل يكون من الأنسب أن تكون تونسيّة قحّة على المستوى المذهبي إحياء لأصول المالكيّة الجديرة بترشيد تديّن مقاصديّ موضوعيّ ثاقب وذلك بسبب فرديّتها الإستصلاحيّة ودون أن يحجب ذلك التّنوع المطلوب سواء دينيّا حقّا وطنيّا لليهود التّونسيين وغيرهم أو عقديّا لمن شاء أو مذهبيّا حقّا وطنيّا كذلك للإباضيّة وغيرهم. نحو حركة إسلاميّة لا سياسيّة بالمعنى الحزبي ولكن الإهتمام بالسّياسة اليوم شرط مشروط لمعالجة الحياة والتّدين نفسه. حركة إسلاميّة مهمّتها العظمى هي نفخ الرّوح القيميّة والأخلاقيّة في مجتمع قطعت أوصاله كثيرا بهويّته اللّسانية والدّينية معا على معنى أنّ تلك الوشائج لم تعد تمنع من تقحم الجرائم العظمى التي ضربت في مؤسّسة الأسرة نفسها فضلا عن مؤسّستي الرّحم والجوار. حركة إسلاميّة لا حزبيّة ولا تنافس على السّلطة ولا تخوض الإنتخابات بإسمها ولا بالوكالة ولا تلغي جهودا كبيرة من مؤسّسات دينيّة وعلميّة رسميّة وأهلية ولا تسيء إلى أحد ولا تبخس جهد أحد ولا تنحاز إلاّ إلى القيم الإسلاميّة المجمع عليها أو إلى تونس وثورتها .

حركة إسلاميّة تزاول القول الحسن البليغ بما تيسّر لها وتتوسّل إلى التّوعية القيميّة بالكلمة المجردة والفنية بكل صورها المشروعة وبالقلم والكتاب فلا تصطدم مع أحد ولا تكره أحدا وتعمق قيمة التعدد. حركة إسلاميّة لا تمارس الإفتاء ولا تكفير أحد ولا تفسيقه ولا تبديعه. حركة إسلاميّة إصلاحيّة لا سياسيّة ولا حزبيّة ولكن يحسن بها جدا أن تحمي ممّا يليها الإرث المالكي والزّيتوني وتلقّحه بما هو مفيد ووافد.

الإصلاح عمل جامع والإصلاح الجامع لا بدّ له من أسّ قيمي أخلاقي لا تتولاّه الأحزاب ولا حتّى الدّولة بل يتولاّه المجتمع. المجتمع كتلة لا يمكن أن تقوم بوظائفها إلاّ بتفرّغ بعضها لمثل هذا وبعضها الآخر لغيره. ذلك ما يمكن أن يساهم في إنقاذ تونس وثورتها وزيتونتها وإرثها المالكي عسى أن تنقشع غمامة التّوازنات المنخرمة في أجل محتوم.

عبد اللطيف علوي
«شاعر تونسي»
alouiabdellatif222@gmail.com

# مصب الثوره

هل جُعتَ يوما ، ثمّ نِمتَ وفي الخيالِ رغيفُ خبزٍ يابسِ

ومرارةٌ في الحلقِ تأبَى أن تنامْ ؟

هل بتَّ مقرورا كقطٍّ مُهمَلٍ فوق الرّصيفِ

وأيقَظَتْكَ خطى البغايا والسّكارى في الظّلامْ ؟

هل مرّ عيد وانتظرتَ يدًا تُكفْكِفُ دمعتَكْ

ثمّ احترقْتَ مع الفراشةِ دونَ شكوًى أو مَلامْ ..؟

هل ذُقتَ يوما ما يكون الانكسارُ ؟

وأنتَ تنظرُ في عيونِ صغارِكَ المتكسِّرَهْ

وتقول : يا لِأبٍ ذليلٍ يا أنا ، ما أصْغَرَهْ !

وتُديرُ وجهكَ حينَ تَلْقاهمْ ..

وتَبْكي عند أرجلهم إذا ناموا..

على كَتِفِ اللّيالي الغادِرَهْ

هل هُنتَ يوما في بلادكَ ؟؟

واستباح المُخبرون طريق بيتِكَ ، صدرَ أُمّكَ ،

عُشَّ نجمتِكَ الصّغيرةِ والحَمَامْ ؟؟

هل فتّشوا بينَ الكراريسِ القديمةِ ، والثّيابِ الدّاخليّةِ ،

والخزائنِ والرُّكامْ ؟؟

عن صورةٍ مَحظُورةٍ ، أو نِيَّةٍ مَنْسيَّةٍ ،

أو خيطِ أحلامٍ دفينٍ في التّرابِ أو الغمامْ ؟؟

هلْ عِشتَ عصرَ الخوفِ ، عصرَ الجوعِ والتّرويعِ

عصرَ الخارجينَ عن النّظامْ ؟؟

وسقوكَ من كأسِ المذلّةِ مرّةً ..

فبقيتَ تنزفُ ماءَ وجهِكَ ألفَ عامْ

هل طاردتْكَ كلابُ أمنِ الدّولةِ المُتحضِّرَهْ ؟؟

وتَربَّصتْ بِمَنِ استجارَكَ أو أجارَكَ أو دعاكَ إلى حديثٍ عابرِ

فغدوتَ بينَ النّاسِ منبوذًا ذميمًا كالْجُذامْ

هلْ عذّبوكَ و غرّبوكَ وشرّدوكَ على الخرائطِ كُلِّها

فتركتَ كفَّ حبيبةٍ ممدودةً عبرَ البحارِ ،

تركتَ أُمًّا خلفَ ظهرِكَ لا تنامْ ؟؟

هلْ كنتَ مِمّنْ عاشَ حرًّا رغمَ أوجاعِ الحياةِ ،

ولم يكنْ في السّرِكِ قِرْدًا جُمهوريًّا ،

لمْ يضيّعْ في تمامِ الوهمِ عُمْرَهْ ؟

.....

تعالَ إذَنْ ، وحدّثني عنِ الثّورَهْ !!

لطفي الدهواثي
« عضو الهيئة العلمية
لمنتدى الفارابي للدراسات والبدائل»
lotfidahwathi2@gmail.com

# حررتهم الثورة

سبع سنوات مرّت على نجاح الثّورة فى تونس وقد كان نجاحها قياسيّا حيث لم تدم فى الزّمن سوى بضعة أسابيع ما بين أوّل مظاهرة في مدينة سيدي بوزيد وآخر تجمّع بشري حاشد في الشّارع الرّئيسي لتونس العاصمة. لقد قيل في الثّورة التّونسية الكثير وكتب عنها أكثر وامتدّ صيتها إلى القارّات الخمس، وما فتئ يقال عنها وفيها أكثر. هي أقصر الثّورات من الناحية الزمنيّة وهي أقلها كلفة من النّاحية البشريّة والأهمّ أنّها الأساس من حيث الانتقال بالدّولة وبالثّورة من حراك منفلت إلى آخر مؤسّس، فهي الثّورة الوحيدة التى استطاعت أن تؤلّف بين مقتضيات الوجود الضّروري للدّولة ومقتضيات الحراك الثّوري الذي يقتضي الجموح والانفلات.

لم تكن الثّورة حينئذ حدثا عاديّا بل كان عنصر المفاجأة هو العنصر الغالب إبّان اندلاعها وأثناء أحداثها الملتهبة، لقد كان لحادثة احتراق البوعزيزي قصب السّبق فى ايقاد فتيل الثّورة ولكنّها لم تكن العامل الوحيد لاندلاعها. ومن كان من المتابعين للشّأن السّياسي فى حينه كان لا بدّ أن يتوقّع حدوث أمر ما نتيجة طول المدّة التى مضت على حكم المخلوع من جهة

ونتيجة الضّجر الذي بدأ يظهر شيئا فشيئا من آل المخلوع وذويه بسبب هيمنتهم على كلّ القطاعات الاقتصاديّة والماليّة للدّولة دون أيّ رادع أو رقيب.

اندلعت الثّورة دون قيادة وربما دون أفق واضح، ومن كان من غير الموالين لها كثيرا ما يحتجّ بهذه العفوية وبغياب القيادة الواضحة لها لكي يطعن فيها ومن هؤلاء من يرى فيها مجرّد مؤامرة ودفع بالبلاد نحو المجهول وحتّى نحو الانهيار والخراب. ولكن هل غاب عن هؤلاء أنّ النّظام الذي كان يحكم البلاد لم يكن يسمح مطلقا بأيّ حراك مهما كان نوعه ولا كان يسمح ببروز أيّة قيادة فاعلة يمكن أن تقود الجماهير مهما كان حجم هذه القيادة، بل إنّ فترة الحكم الطويلة لم تزد النّظام إلاّ تقوقعا على نفسه ولم تزد زعيمه إلاّ اعتدادا بقوّته ومبالغة في إظهارها، ماتت السّياسة مبكّرا وانفصلت الدّولة عن كلّ حراك سياسي وأصبح همّ الزّعيم أن يحكم من دون معارضة وأن يحكم حتى يموت.

> **"لم تنجح الثّورة لأنّها كانت مفاجأة للنّظام ولا لكونه لم يقمعها بالقدر الكافي كما يروّج الكثيرون ولكنّها نجحت لأنّ هذا النّظام وصل مرحلة الإفلاس التّام من النّاحيتين السّياسيّة والجماهيريّة."**

لم تفشل الثّورة لأنّها كانت مُفاجِئة للنّظام ولا لكونه لم يقمعها بالقدر الكافي كما يروّج الكثيرون ولكنّها نجحت لأنّ هذا النّظام وصل مرحلة الإفلاس التّام من النّاحيتين السّياسيّة والجماهيريّة ولو لجأ رأس النّظام حين اشتداد الثّورة إلى حلول أكثر دمويّة لزاد الثّورة اشتعالا ولكانت عواقب فعله كارثة عليه وعلى البلد. لقد نجحت الثّورة في وقت قياسي لأسباب متعدّدة ومعقّدة أيضا، أمّا التّعقيد فقد اختزلته السّاعات الأخيرة للثّورة وما سبقها من غموض وأمّا الأسباب فمنها ما كان يعتمل في صدور الكثير من التّونسين من حقد وكراهيّة تجاه نظام الحكم ونمطه منذ ماقبل صعود المخلوع إلى كرسي الرّئاسة والذين ازدادت كراهيتهم للنّظام بعد أن كشّر المخلوع عن أنياب أشدّ دمويّة وجبروتا من سلفه. ومنها أنّ من التّونسيّين من يئس من النّظام الحاكم بعد فترة من التّأمّل والأمل أعقبتها خيبة ومرارة حين أصبح العمل السّياسي محضورا تماما مثله مثل أيّ عمل ثقافي أو اجتماعي لا يروق للنّظام ولا يدور في فلكه. ومنهم من لم يكن من أهل السّياسة ولا كان من المهتمين بالشّأن العامّ ولكن النّظام القائم هو من دفعه إلى المعارضة أو إلى اتخاذ مسافة تجاهه بسبب ممارساته القمعيّة أو بسبب الصّورة التي ما فتئت تتشكّل في وعي النّاس عن تحوّل الدّولة إلى غنيمة شخصيّة للرّئيس وحرمه وآلهما دون رادع ودون حدود .

تونس بلد عربي، والعرب كانو الأبعد عن الثّورة رغم أنّهم كانوا مولعين بكلمة «ثورة»، فقد سمى جمال عبد الناصر انقلابه على الملك فاروق بالثّورة وكذلك فعل القذافي بعد انقلابه على الملك اللّيبي ومثل ذلك فعل الأسد المقبور بعد انقلابه في سوريا حين سمى الانقلاب ثورة تصحيحيّة. وكلمة «ثورة» لها وقع خاص عند الماركسيّين العرب إذ تذكّرهم بالثّورة البلشفيّة ولها وقعها عند الإسلاميّين العرب أيضا لأنّها تذكّرهم هم أيضا بثورة كانت ذات طابع إسلامي وهي الثّورة الإيرانية ولكن تونس رغم صغر حجمها وقلّة احتفاء شعبها بكلمة

> العبقريّة وحدها من تصنع الإستثناء متى توفّرت العزيمة الصّادقة،لذلك لا خوف على الثّورة التّونسية لأنّ حراسها كثيرون وهم أيضا ليسوا خلوا من العبقريّة.

«ثورة» هي من أهدت العرب جميعا أوّل ثورة فى تاريخهم الحديث، ففتحت لهم بذلك أفقا رحبا لم يكن متاحا لهم النّظر إليه قبل ذلك رغم أنّ بورقيبة حاول أن يقتل فيها كلّ منزع ثوري ورغم أنّ المخلوع حكمها بعقل المافيا وأساليبها.

لتكن ثورة مفاجئة ولتكن ثورة الهامش المنفلت بلا قيادة ولتكن ما تكون، فقد كان لها قصب السّبق ونيشان الرّيادة وهي الثّورة الوحيدة التى أحدثت زلزالا مدوّيا امتد أثره بعيدا حتّى وصل إلى سوريا بعد أن اكتسح مصر وليبيا واليمن ولولا قوّة البطش التى جوبهت بها الثّورة السّورية لكان وقع الزّلزال أشدّ. إنّ من طبيعة الثّورات الانتكاس ومن طبيعتها الغلوّ والمغالاة وربّما كان من الطّبيعي أن تنتصر الثّورة المضادّة على ثورة لم يشتدّ عودها أو انفضّ عنها حرّاسها ولكن العبقريّة وحدها من تصنع الإستثناء متى توفّرت العزيمة الصّادقة،لذلك لا خوف على الثّورة التّونسية لأنّ حراسها كثيرون وهم أيضا ليسوا خلوا من العبقريّة.

لقد ظلّ هذا البلد يحكم بعقل سياسي يناوئ الإسلام السّياسي بغضّ النّظر عن كلّ ما يمكن أن يقال عن هذا الإسلام السّياسي، بل إنّ الحكم الذي كان قائما قبل الثّورة كان يعدّل ساعته وفعله وحتّى مزاجه انطلاقا من عدائه الشّديد للإسلاميّين وقد أفلح فى حياكة نخبة ثقافيّة وسياسية كلّ همّها مناوأة الإسلاميّين وهرسلتهم بكل الطرق. كانت الثّورة فعلا تحريريا لكلّ الطّاقات ولذلك فقد كان من الطّبيعي أن يكون الإسلاميّون أكبر المستفيدين من هذا التّحرر إذ رفعت عنهم الأغلال والقيود التى كانت تغلّ حركتهم وتدفع بهم إلى الهامش ولذلك استطاع هؤلاء أن يعيدوا تنظيم أنفسهم ويستعيدوا قوتهم، والأهم من كلّ ذلك أن يستطيعوا التّكيّف مع الثّورة وإعادة ترتيب الأولويّات داخل البلد ليتغيّر المزاج من مقاومة الاسلاميّين وهرسلتهم إلى الإعتراف بهم قوّة على الأرض لا غنى للبلد عنها ولا بناء ولا سياسة ولا تغيير من دونها. لقد استطاعت الثّورة وحدها أن تدفع بالاسلاميّين إلى المقدّمة وأن تجبرهم على احترام شروطها فى الواقع وفى المآلات. لقد كانت الثّورة مفاجأة للإسلاميّين ولم تكن عليهم وليقل مناوئوهم ما يقولون، فلن يكون لهم القول الفصل، لقد ألقمتهم الثّورة حجرا ولكنهم يستكبرون.

# تحيّة إلى روح الشهيد

## 17 ديسمبر 2010
## 14 جانفي 2011

وطني علمني أن حروف التاريخ مزورة حين تكون بدون دماء ... ولقد سالت دماء طاهرة من أجل الكرامة والحرّية... وسقط عدد لابأس به من الشهداء في ساحات مختلفة من بلدي من أجل أن ينتصر الحق ويسقط الطغيان ... عهد علينا أن نحافظ على الثورة ونعمل على تحقيق الشعارات التي رفعها شهداؤنا الأبطال.

وليد عبدالسلام

# نزلنا على الشوارع

نزلنا عالشوارع
رفعنا الرايات
غنينا يا بلادي
أحلى الاغنيات
أغانينا للحرية
للوحدة الوطنية
للحرب الشعبية
طريق الانتصارات
---
للأرض بنغني
بنكتب اشعار
نرويها بدمانا
وبنشعلها نار
نتحدى المحتل
نار وشوك وحجار
ويكتب التاريخ
دروس في النضال
---
فرحي يا بلدي
طلو ولاد صغار
واعيين القضية
فإيديهم حجار
تشرق منها الشمس
تطلع ألف نهار
بيكتبو يا بلادي
تاريخك بالنار

لسماع الأغنية على العنوان التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=bjNcwSZ-Lr8

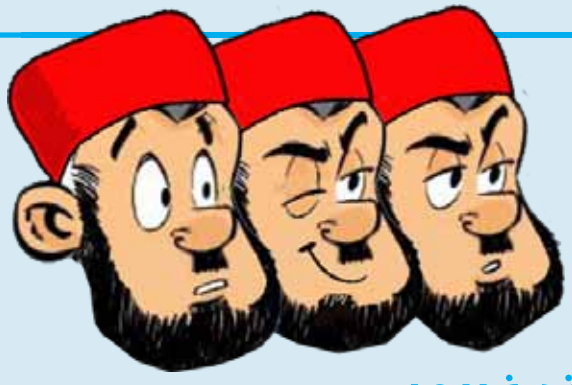

# ما اخيبك يا صنعتي عند غيري

مجلة الإصلاح
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

126
جانفي 2018
ربيع2 -جمادى1 1439

http://www.alislahmag.com

كتب الإصلاح

يتجدد الموعد
معكم
إن شاء الله في

127
فيفري 2018
جمادى (1)-جمادى (2)
1439